الأصول اليونانية في فلسفة سليمان بن جابيرول

(١٠٢١ م – ١٠٥٨ م)

" قراءة تحليلية نقدية "

دكتورة / شيرين كمال محمد علي

دكتوراه في الفلسفة اليونانية والعصورالوسطى

قسم الفلسفة – كلية الآداب

جامعة الإسكندرية

مقدمة

مما لا شك فيه أن ظهور التفكير الفلسفي الديني اليهودي في القرون الوسطى هو نتاج اتصال اليهود بالفكر الاسلامي الفلسفي، حيث كانت الفلسفة اليهودية العربية تتقدمُ مع تقدم الفلسفة الاسلامية، وبخاصةٍ في الأندلس التي احتلت تحت الحكم الاسلامي لها مركز الصدارة في تلك الفترة في العلوم والمعارف، والآداب، والثقافة بعامةٍ، وكانت الأجواء فيها مهيأةٌ لجميع الأجناس من كل البقاع للمشاركة في تحقيق التقدم في كل هذه المجالات.

وشمل هذا اليهود، الذين أُتيحت لهم الفرصة للاطلاع على أهم أعمال الفلسفات اليونانية وعلى رأسها الأفلاطونية والأرسطية مما انتقل إلى العرب بعد الفتوحات الاسلامية الواسعة النطاق، فترجموها ثم كانت إضافاتهم القيّمة لها بالشرح والتحليل والتعليق، وشاركهم اليهود في هذا بنصيبٍ وافرٍ.

وكان من أبرزهم سليمان بن جابيرول، الفيلسوف والشاعر والأديب واللغوي اليهودي الأندلسي، صاحب المكانة الرفيعة بين العلماء والأدباء والمفكرين اليهود الإسبان، بقصائده الدينية وإضافاته اللغوية المميّزة إلى العبرية، وكذا بفلسفته التي ظهرت في مؤلفاته، وأهمها كُتب" ينبوع الحياة " و" إصلاح الأخلاق " و" اللآلئ المختارة"، ويبدو من خلالها تأثره الواضح بالفلسفة اليونانية، ولا سيما فلسفة أرسطو، والمذهب الأفلاطوني المحدث، اللذان عرفهما من خلال متوسطاتٍ عربيةٍ اسلاميةٍ، ويتناولُ هذا البحث التعريف بفلسفة ابن جابيرول وأهم أفكاره المتأثرة بالأرسطية والأفلاطونية المحدثة ومدى هذا التأثر، وكيفية معرفته بالمذهبين ووصولهما له.

إشكالية البحث:

تتمثلُ اشكالية البحث في الوقوف على أصول الفلسفة اليهودية عند ابن جابيرول ومدى تأثره بالفكر الفلسفي اليوناني لا سيما أرسطو والأفلاطونية المحدثة، من خلال عرض سيرة حياته، وأهم المؤثرات في فكره، والأثر الأرسطي في فلسفته من خلال ثلاثة من أعماله الرئيسة هى" ينبوع الحياة " و" إصلاح الأخلاق " و" اللآلئ المختارة ".

تساؤلات البحث:

تكمن تساؤلات البحث فيما يلي:

١- كيف انتقلت الفلسفة اليونانية إلى الفكر الفلسفي اليهودي في العصر الوسيط ؟

٢- ما أهم أفكار فلسفة ابن جابيرول ؟

٣- ما مدى تأثر ابن جابيرول بالفلسفة الأرسطية ؟ وما مدى اختلافه عنها ؟
٤- ما مدى تأثر ابن جابيرول بالمذهب الأفلاطوني المحدث ؟

المنهج المستخدم في البحث:

أُستخدمت في هذا البحث بعض المناهج، وهى المنهج التاريخي لمعرفة الأصول التاريخية وأثر أرسطو وأفلوطين في فلسفة ابن جابيرول، والمنهج التحليلي لتحليل عناصر الفلسفة اليهودية لديه، والمنهج النقدي والمقارن لمقارنة أفكاره الفلسفية بالمذهب الأرسطي والأفلاطوني المحدث للوقوف على الأثر الذي أحدثه هذان المذهبان في الفكر اليهودي ممثلاً في ابن جابيرول.

تمهيد:

ابن جابيرول (١٠٢١ م – ١٠٥٨ م) شاعر إسباني وفيلسوف ديني وأخلاقي، يُطلقُ عليه جراتس لقب أفلاطون اليهود، بيْنما يُسمّيه ستينشنيدر الكاتب الفلسفي الأكثر أصالةً بيْن اليهود والعرب [١]، يُعرفُ في الثقافة العربية باسم سليمان بن يحيى ابن جابيرول، وكنيته أبو أيوب بن يحيى، أما في المصادر اليهودية فهو شلومو ابن يهودا بن جابيرول أو שלמה אבן גבירול، وأحيانًا كان يُطلقُ عليه سليمان الإسباني، ثم أصاب اسمه شيئٌ من التحريف في اللغة اللاتينية، فجاء على أكثر من صورةٍ منها إبنكبرون وإبيكبرون وأفنسبرول [٢] وأفيسبرون [٣] وأفيسمبرون أو أفيسنبرول.

وربما لم يمثّلُ أحدٌ من مفكري العصور الوسطى تجانس الأديان السماوية الثلاثة كما فعل ابن جابيرول، والذي انتشرت كتاباته بعد وفاته بشكلٍ كبيرٍ، وتُرجم العديد منها إلى الكثير من اللغات المختلفة، واهتم المفكرون المسيحيون في القرون الوسطى بها كثيرًا، وبلغت مكانته لديهم إلى حد أن وصفه غيوم دي أوفيرني أسقف باريس في القرن الثالث عشر بأنه أعظم الفلاسفة، وفي فلسفته نجد أفضل مثالٍ لصوفية العصور الوسطى المبكرة، والتي تتخطى الحدود بيْن الأديان السماوية الثلاثة وتجمعُ بيْن مثلها العليا وأفكارها الصوفية، وكان ابن جابيرول أحد أهم المفكرين في جلب المعتقدات الصوفية لكلٍ من اليهودية والمسيحية، فكان بهذا سابقًا قبل مجيئ عصر النهضة بمئات السنين إلى الدعوة إلى الخروج من التفكير الضيّق والقيود التي تكبّلُ الإنسان، من خلال فلسفةٍ روْحيةٍ تحلقُ به بعيدًا عن هذا العالم. [٤]

أولاً: حياة سليمان بن جابيرول:

لا يُعرفُ إلا القليل عن حياة ابن جابيرول، من ذلك أنه وُلد في ملقة [٥] لأسرةٍ يهوديةٍ محافظةٍ بسيطةٍ [٦]، والده يهودا كان من مدينة قرطبة التي كانت في ذلك الوقت

---

1 – Jewish Encyclopedia.com – Solomon ibn Gabirol – http://jewishencyclopedia.com/articles/6448-gabirol-solomon-ibn

٢ – جورج فيدا – الفكر اليهودي في العصر الوسيط – ترجمة وتعليق علي سامي النشار – منشأة المعارف – الإسكندرية – ١٩٧٢ م – ص ١٣١.

3 – Encyclopedia Britannica – Ibn Gabirol – https://www.britannica.com/biography/Ibn-Gabirol

4 – Tom Block – Sophia , The Journal of Traditional Studies – summer 2004 – Solomon Ibn Gabirol – http://www.tomblock.com/shalom_solomon

5 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

٦ – يونس مرشد عمرو – ابن جابيرول اليهودي الأندلسي وأثر الفكر العربي في مؤلفاته – تقديم محمد حماد – دار أسامة للنشر والتوزيع – عمّان – الأردن – الطبعة الأولى – ٢٠١٤ م – ص ٥٧.

تحت الهيّمنة العربية [١]، ويبدو أن أسرته كانت من بيْن الأُسر الكثيرة التي تفضّلُ الترحال من مدينةٍ إلى أخرى عبر بلاد الأندلس في تلك الفترة من تاريخها التي كانت تتسمُ بالثورات والقلاقل في عصر ملوك الطوائف [٢]، وقبل عشر سنوات من ولادة سليمان وعندما اندلعت الحرب في ذلك الجزء من شبه الجزيرة الإسبانية انتقلت الأسرة إلى سرقسطة التي كانت تحت السيّطرة العربية أيضًا، وفي وقتٍ لاحقٍ انتقلوا إلى ملقة حيْث وُلد سليمان [٣]، وتوفى والداه عندما كان طفلاً [٤]، فانتقل للحياة في سرقسطة سعيًا وراء الحصول على تعليمٍ متميزٍ، حيْث انضم إلى طلبة قرطبة الآخرين الذين أقاموا هناك حول علماء مشهورين على رأسهم جيكوثيل بن حسن، والذي جعل ابن جابيرول تحت رعايته وحمايته، فخلّده الأخير في قصائد مدحٍ وثناءٍ، واشتهر وهو في السادسة عشرة من عمره لتراتيله الدينية باللغة العبرية المتقنة، وكانت اللغة الأكثر انتشارًا في الأدب الأندلسي هى العربية، أما العبرية فلم تظهر إلا في أواخر هذا العصر كوسيلة تعبير للشعراء اليهود، وقد افتخر في إحدى قصائده آنذاك بأنه وهو في السادسة عشرة يملكُ حكمة رجل في الثمانين من عمره[٥]، وثقافةً ومعرفةً واسعةً حيْث كان يتقنُ ست لغاتٍ هى العبرية، والكلدانية أو الآرامية، والعربية، والبربرية، واللاتينية، والكنسية، رغم صعوبة تعلم اللغات في ذلك الوقت. [٦]

ومع ذلك فقد ارتكب خطأ هجاء صمويل بن ناجريلا، وهو رجل دولة يهودي صاعد ووزير في مملكة غرناطة البربرية، وكان أيضًا شاعرًا موهوبًا وتلموديًا واستراتيجيًا، وكاتبًا نموذجيًا للرسائل، ولكن بعد ذلك اعترف ابن جابيرول بفضل هذا الوزير عليه، والذي اصبح القاضي الأكبر في وقتٍ لاحقٍ.

وعند مقتل جيكوثيل في عام ١٠٣٩ م على أيدي أولئك الذين قتلوا ملكه واستولوا على السُلطة [٧]، كتب ابن جابيرول قصيدةً في رثائه تتألفُ من أكثر من ٢٠٠ بيْتاً، كما كان قد كتب أربع مرثيات أخرى عند وفاة راف هاي جاوون، وكانت سرقسطة قد عانت من الحروب والنزاعات المتوالية، كما أثّر الحسد والضغينة والبغضاء من حوْله في عمله هناك، حتى أصبحت الحياة لا تُطاق بالنسبة إليه، فقرر الهروب، وفكر في مغادرة إسبانيا كلها، غيْر أنه

---

1 – Chabad.org – Solomon Ibn Gabirol – http://www.chabad.org/library/article_cdo/aid/111875/jewish/Solomon-Ibn-Gabirol.htm

٢ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٥٧.

3 – Chabad.org – op. cit..

4 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

5 – Encyclopedia Britannica – op. cit..

6 – Isaac Myer – The philosophical writings of Solomon Ben Yehudah Ibn Gebirol – published by the Author – 1888 – P. 6.

7 – Encyclopedia Britannica – op. cit..

بقى يتنقلُ في أرجائها [١]، وبيْن مراكز الثقافة العربية ومدنها الشهيرة في هذا العصر كقرطبة وإشبيلية وسرقسطة وغرناطة ووفالنسيا[٢]، واكتسب لفترةٍ صديقًا وراعيًا آخر هو صمويل بن ناجريلا، والذي كان في حاجةٍ إلى شاعرٍ متمكنٍ، ووضع ابن جابيرول قصائد اشتهرت على نطاقٍ واسعٍ عن صمويل وكذا يوسف ابنه وأبنائه الآخرين، ومعظم المعلومات الشخصية الأخرى عن ابن ناجريلا يمكنُ استقراؤها من شعره [٣]، ولكن في وقتٍ لاحقٍ حدثت خلافات أخرى بيْنهما، وأصبح ابن ناجريلا القاسم المشترك الأساسي في قصائد ابن جابيرول الساخرة. [٤]

وعلى الأغلب فإن ابن جابيرول لم تكن له إخوةٌ، كما أنه لم يتزوّج، ولم يكن هذا بسبب كره النساء أو الإنجاب، إذ إن الروايات تشيرُ وبالاستناد إلى شعره، إلى أنه تمنى لو كان لديه أبناءً [٥]، ولكن السبب يرجعُ لإصابته في سن التاسعة عشرة بمرضٍ جلديٍ مزمنٍ خطيرٍ تسبب في معاناته من الدمامل وألمٍ شديدٍ مستمرٍ، وتشوُّه منظره ونحول جسمه وضعفه الشديدين، وكان يلازمُ الفراش بسببه لفتراتٍ طويلةٍ، ومما يُذكرُ عنه أنه كان دائمًا ما يشعرُ أن حياته لن تطول بسبب هذا المرض، ويدعو الله أن يجعل منه تكفيرًا عن خطاياه، هذا فضلاً عن الفاقة، والعوْز، والحياة البائسة التي عاشها وشكّلت له مأساةً مستمرةً، ولعل هذه الظروف كلها قد فرضت عليه إيثار العزلة والاختلاء معتكفًا بنفسه عن الناس، حتى صار عنده طبعًا متأصلاً بالشعور بالحياء والخجل عند ملاقاة الناس لإحساسه بأنه ذو عاهةٍ مستديمةٍ، إضافةً إلى أن فقده لوالديه خلق عنده قناعةً بسوء طالعه وتعثر حظه، فنشأت لديه نظرةً تشاؤميةً عميقةً تأصلت في نفسه، جعلته في ضيقٍ وعصبيةٍ مستمريْن، شديد الحساسية، حاد المزاج، سريع الغضب لأتفه الأسباب. [٦]

وأكّد ذلك موسى بن عزرا (١٠٥٥ م – ١١٣٥ م) وهو شاعرٌ عبريٌ وناقدٌ أدبيٌ ومؤلف كتاب " المناقشة وإحياء الذكرى "، حين ذكر أن: " ابن جابيرول كان معروفًا بمزاجه المتقلب وعصبيّته التي كان لها تأثيرها في كثيرٍ من الأحيان في تفكيره، وشيطانه الداخلي التي لم يتمكّن من السيّطرة عليها "، وكان ذلك مما أدى إلى قلة بل انعدام أصدقائه ومريديه،

---

1 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..
2 – I. Davidson – Solomon ibn Gabiral (selected religious , poems) – New York – USA – 1974 – P. 15.
3 – Encyclopedia Britannica – op. cit..
4 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..
٥ – محمد بحر عبد المجيد – اليهود في الأندلس – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – المكتبة الثقافية – القاهرة – ١٩٧٠ م – ص ٥٠.
٦– يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٦١.

وزيادة أعدائه وخصومه، والذين سعوا لمحو ذكره وآثاره، وأدى النسيان الذي لفّ سيرته والغموض الذي انتاب جوانب من حياته إلى إثارة الأجيال التي جاءت بعده، وسمعت بالقليل الباقي عن حياته المثيرة، ذلك القليل الذي أعوّزته رواية الوقائع الحقيقية، فاتجه المهتمون بذكره إلى الروايات الأسطورية التي استعانت بقصصٍ من نسج الخيال، فكان أن وصلتنا حكاياتٌ مثيرةٌ على نمط الأساطير العجيبة، وكان من بيْنها أنه كان يعرفُ السحر فقام بصنع تمثالٍ خشبيٍ لامرأةٍ جميلةٍ بثّ فيها الحياة لتقومُ على خدمته، وتصادف أن شاهدها مبغضوه، فوشوا به لدى القاضي متهمين إياه بالفاحشة وخاصةً أنه ليْس متزوّجًا، وحين استُدعى وسُئل عن ذلك، احضر تلك الدمية وأعادها إلى سابق عهدها كتمثالٍ خشبيٍ في حلبة القضاء. (١)

وتتفقُ جميع الشهادات على أن ابن جابيرول كان شابًا لم يكمل الأربعين من عمره في وقت وفاته التي حدثت في فالنسيا، في أعقاب سنواتٍ من الترحال والتنقل، ولكن هناك افتراضٌ خاطئٌ بأنه توفى قبل بلوغه عامه الثلاثين يرجعُ إلى سوء فهم لبعض كلمات موسى ابن عزرا والحريزي (٢)، كما أن هناك تاريخاً غيْر صحيحٍ آخر للوفاة وهو ١٠٧٠م في يواسين، أكد عدم صحته صاعد الأندلسي (٣)، رغم أنه قُبِل من العديد من الكتاب في القرون الوسطى والحديثة، من بيْنهم مونك، ودوكس، وغراتز، وجوتمان. (٤)

ولم تخلُ وفاته كذلك من أسطورةٍ أحاطت بها، تشيرُ إلى أن رجلاً مسلمًا كان حاقدًا عليه قام باستدراجه ثم قتله، ووارى جثمانه تحت شجرة تين، صارت بعد فترةٍ قصيرةٍ تطرحُ ثمرًا عجيبًا في حسنه وحلاوته، خلافًا لسابق عهدها من الثمر، مما لفت الأنظار إليها وراح الناس يتحدثون عنها ويتناقلون سيرتها حتى وصلت لمسامع الحاكم، فاستدعى صاحب الشجرة وسأله، فانكر في البداية معرفته بالسبب والسر، ولكنه تحت وطأة الإلحاح اعترف بجريمته، ونال عقابه بأن أمر الحاكم بتعليقه على الشجرة نفسها(٥)، وقد ذكر هذه الأسطورة ابن يحيى في الكاباله، ولكن لا توجدُ أية أدلة تؤكدُها وثبتت عدم صحتها (٦)، وهى تقريبًا الطريقة نفسها التي ذُكرت عن وفاة الحاخام يهودا اللاوي. (٧)

---

١ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٦٤.

2 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

٣ – أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي – طبقات الأمم – نشره وذيّله بالحواشي واردفه بالروايات و الفهارس لويس شيخو اليسوعي – نُشر بتتابع في السنة الرابعة عشرة من مجلة المشرق – المطبعة الكاثولوكية للآباء اليسوعيين – بيروت – لبنان – ١٩١٢ م – ص ٨٩.

4 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

5 – Grayzel S. – A history of Jews – New York – USA – 1968 – P. P. 294 / 295.

6 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

7 – Chabad.org – op. cit..

ثانيًا: مصادر فلسفته:

عاصر ابن جابيرول ما يمكنُ تسميّته بالعصر الذهبي اليهودي تحت الحكم الإسلامي للأندلس، وخاصةً خلال المائتي عام من ٨٥٠ م – ١٠٥٠ م، حيْث كان اليهود قادرين على تلقي العلم والعمل مثلهم مثل غيْرهم في مجتمعٍ يساوي بيْن جميع من فيه ولا يفرّقُ بيْن أحدٍ منهم إلا بعلمه وعمله، وقد جسّد ابن جابيرول هذا التعايش بيْن المسلمين واليهود ربما أكثر من أي يهوديٍ آخرٍ في القرون الوسطى [١]، وكانت سرقسطة التي نشأ فيها من أهم مراكز التجمع اليهودي في الأندلس بل أهم مركز ثقافي لهم، حيْث كانت محط أنظار علمائهم وأدبائهم، وذلك بفضل وجود رجال بارزين من اليهود كان يعيشون بها ويعملون على استضافة العلماء والأدباء وازدهار الثقافة اليهودية بشكلٍ عامٍ، وفي الوقت نفسه كانت هذه المدينة عاصمةً لواحدةٍ من ممالك الطوائف، ومركزًا من مراكز الثقافة العربية الإسلامية، تضاهي مثيلاتها من العواصم الأخرى في الأندلس الاسلامية، ومن هنا بدأ ابن جابيرول بتلقي علومه الأولى من الثقافة اليهودية جنبًا إلى جنب مع علوم الثقافة العربية الاسلامية، وبخاصةٍ الفلسفة والمنطق والأدب والشعر واللغة، ومنذ الوهلة الأولى ظهرت لديه عبقريةٌ خارقةٌ وجّهها إلى فهم ألغاز الوجود وكشف أسراره، وساعد على ذلك ظروف حياته الأولى من التقلبات والتناقضات فتارةً دفءٌ وتارةً بردٌ، وتارةً سلامٌ وأمانٌ، وأخرى خصومةٌ وعداءٌ، مما أدى لتعدد أنشطته الذهنية وتنوّع أحاسيسه وأخيّلته. [٢]

ولقد كان للصوفية أثرها فيه مثل التقاليد اليهودية نفسها، ويظهرُ هذا في التشابهات العديدة الشديدة الوضوح بيْن أفكاره والنصوص الصوفية السابقة مثل رسائل إخوان الصفا التي كُتبت في بغداد في القرن التاسع، مما قد يشيرُ إلى أنه بعد الكتاب المقدس كانت هذه الكتابات الاسلامية مصدر الهامه الرئيس، فعلى سبيل المثال استعار من الأفكار الإسلامية أن الإنسان كان نموذجًا مصغرًا لله، على الرغم من اعتراض التقليديين الدينيين المعاصرين له على هذه الأفكار، بالإضافة إلى ذلك فإن العديد من المصطلحات التي استعارها ابن جابيرول من الإسلاميين أصبحت من أساسيات النظام الكابالاني. [٣]

وعلاقة ابن جابيرول بالكاباله بالتأثر والتأثير كان أول من أشار إليها واعتبره كابالانيًا هو سليمان مونك، ثم أجرى بعده إسحاق ماير دراسةً في ٥٠٠ صفحة لتأكيد ذلك، وهناك دراساتٌ حديثةٌ أيضًا بدايةً بتلك التي قام بها مانويل جيل عام ١٨٥٧ م، وكارل درايز في

1 – Tom Block – op. cit..
2 – I. Davidson – op. cit. – P. 5.
3 – Ibid – P. 7.

عام ١٩٣٠ م، وجليس جوتمان عام ١٩٣٣ م، وجوزيف كلاوسنر في عام ١٩٣٤ م، وأخيرًا كورت شوبرت عام ١٩٥٥ م، إلا أن الدراسة التي قام بها ج. شولم هدمت بشكلٍ قاطعٍ صورة ابن جابيرول ككابالاني، والتي استمرت لمئات السنين نتيجة التحليل الخاطئ للمصادر الكابالانية في أعماله. (١)

ومن خلال ابن جابيرول كذلك بدأت الأشعار الصوفية الدخول في المصطلحات الكابالانية والشعر الليتورجي اليهودي في العصور الوسطى بشكلٍ عامٍ، كما أنه تبنى أفكارًا صوفيةً عن العلاقة بيْن الله والكون، والله والإنسان بمصطلحاتٍ إسلاميةٍ صميمةٍ، وبالإضافة إلى الاقتباس من رسائل إخوان الصفا، فلقد تأثر بشدة بأفكار الصوفي ابن مسرة، الذي قدم الصوفية إلى إسبانيا، وكان ممن تأثر به أيضًا الفيلسوف الاسلامي الكبير ابن عربي، وابن جابيرول وابن عربي كانت بيْنهما الكثير من القواسم المشتركة، حتى وصفهما الباحث ميغيل أسين بالاسيوس بأنهما " ضوءان يشعان من المركز نفسه"، وأضاف: " بالنسبة لكليهما كانت البداية مفهوم الله، ويرمزان له بالضوء، لأن الخلق هومن تأثير الحب أو إرادة الرحمة للواحد، وهى في الأصل الأفكار الأساسية في فلسفة ابن مسرة، وتظهرُ بوضوحٍ في كتابات ابن العربي وابن جابيرول. (٢)

وكان تأثير الكتابات العربية الصوفية في كتابات ابن جابيرول كبيرًا لدرجة أن كتاباته في كثيرٍ من الأحيان لا يمكنُ تمييز الجانب اليهودي فيها، والمستوْيات الروْحية التي يحددُها للبشر للسعي إليها تتوافقُ مباشرةً مع المسار الصوفي الذي اتبعه الصوفيون الاسلاميون وسعوا لتحقيقه، وكان تفكيره المنطلق بعيدًا سببًا في انفتاحٍ غيْر مسبوقٍ في مجتمعه اليهودي، وقد أشار إلى أن الحقيقة والصلاح ليْسا قصرًا على الشعب اليهودي، وأنه ينبغي للمرء أن يعترف بكلمات الحكمة، ويقبلُها بغض النظر عن مصدرها، وهذا التسامح يستندُ أيضًا إلى إخوان الصفا، الذين أظهروا تساهلاً غيْر مسبوق تجاه الأديان الأخرى، ونادوا بضرورة عدم وجود عداء بيْن وجهات النظر الدينية المختلفة، وقبول تعاليم جميع الفلاسفة والحكماء دون النظر لمعتقدهم الديني، وأخذ ابن جابيرول عنهم هذا الانفتاح، والذي قرّبه من المفكرين في القرون الوسطى أتباع الديانات السماوية الأخرى(٣).

---

1 – Jochanan Wijnhoven – The Mysticism of Solomon Ibn Gabirol – The Journal of Religion – New York – USA – 1965 – P. 138.
2 – I. Davidson – op. cit. – P. 7.
3 – Tom Block – op. cit..

وعلى الرغم من عدم امكانية تحديد أي المصادر أكثر تأثيرًا فيه، فإننا نرى بوضوحٍ في صفحات فلسفته وشعره مزيجًا فريدًا من اليهودية، والإسلامية، والأفلاطونية المحدثة المختلطة بالأرسطية والفيثاغورية والكتاب المقدس والصوفيتين اليهودية والإسلامية، كما نجدُ الاستخدام الواضح للاقتباسات من الكتاب المقدس في جميع أنحاء شعره، وفي مفهومه للكلمة الإلهية نسمعُ صدى لما يُسمّى بلاهوت أرسطو، وفي حديثه عن العرش الإلهي نرى أثر المسلمين واليهود، وفي التسلسل الهرمي الميتافيزيقي السببي نلاحظُ تأثير كتاب العلل أو " الإيضاح في الخيْر المحض "، وفي تركيزه على مبدأ أسماه العنصر الأول في كتاباته العربية والذي تُرجم بالمادة الأولى، أو الأساس في شعره العبري، نسمعُ صدى للكتابات المنسوبة بالخطأ لإمباذوقليس، وظهر أثرها في بعض النصوص اليهودية والإسلامية في العصور الوسطى، حيْث ينسبُ مؤلفوها بعض الأفكار إلى إمباذوقليس، ومن أبرزها مبدأ المادة الفائقة النقاء أو العنصر الأول في صميم الوجود، والذي إما يكونُ مقترنًا بالصورة الأولى، أو أنه في حد ذاته مركبٌ من ثنائية الحب والكراهية[1].

والمعنى الدقيق لهذا التقليد أو التقاليد لا يزالُ غيْر واضحٍ، ولكن يمكنُ العثور عليها في كتابات الشهرستاني، والشهرزوري، وأمونيوس، وأبو الحسن العامري، وفي بعض التقاليد العبرية الكابالانية في العصور الوسطى، وبعض أفكار ابن مسرة وإسحق إسرائيلي وابن حسداي، وربط ابن جابيرول بهذا التقليد له ما يبررُه ليْس فقط في ضوء تركيزه الخاص على العنصر الأول والذي يليه تركيزٌ أكثر على دور المادة في الكوْن، ولكن أيضًا في ضوء ما ذكره مترجمه في القرن الثالث عشر شيم توف بن فالاكويرا بأن ابن جابيرول يبدو أنه قد تأثر بكتاب إمباذوقليس " المواد الخمس " [2]، وبعض ما أخذه عنه هو المصدر الوحيد الباقي حاليًا لبعض كتابات إمباذوقليس المفقودة، إن صحت نسبتها إليه، ولكنها تؤكّدُ في جميع الأحوال أن إمباذوقليس كان له تأثيرًا حقيقيًا في الفلسفة الدينية اليهودية والكابالاه في العصور الوسطى، وعلاوةٌ على ذلك، فإن مكان المادة في نظام ابن جابيرول يشابهُ ما جاء عنه في كتاب " المواد الخمسة "، وإشاراته للوسطاء الذين يربطون درجات الخلق المختلفة مماثلةٌ لما ذكره إمباذوقليس عن الهواء بيْن الرائي والمرئي والذي يحملُ خصائص من كلٍ منهما.

وكان سعديا الفيومي هو المؤلف اليهودي الوحيد صاحب التأثير الملموس فيه، وهناك من الأدلة ما يشيرُ إلى عكس الرأي القائل بأن ابن جابيرول كان يهدفُ بالدرجة الأولى للتوفيق بيْن الأفلاطونية المحدثة مع مفهوم التوحيد اليهودي، حيْث وجد جيجر انسجامًا تامًا

---

١ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٧١.

2 – Tom Block – op. cit..

بيْن مفهوم ابن جابيرول عن الإله والمفهوم اليهودي التاريخي عنه، وأشار جوتمان وإيسلر إلى أن في مذهب ابن جابيرول عن الإرادة اختلافًا ظاهرًا عن مبدأ انبثاق الوجودية في الأفلاطونية الحديثة ومحاولة مقاربة لعقيدة الكتاب المقدس عن الخلق، ولا يمكنُ انكار أن مفهوم التوحيد اليهودي نجد آثاره في مذهب ابن جابيرول عن وحدانية المواد الكلّية[١].

ثالثًا: الشعر عند ابن جابيرول:

وصف الحريزي ابن جابيرول الشاعر في كتابه " تحكموني " على النحو التالي: " رابي سليمان الصغير نشر أريج الأغنية العبرية، وكان يكتبُ الشعر كما لم يكتبُه أي شاعرٍ سواءً من قبله أو بعده، والشعراء الذين جاءوا بعده سعوا للتعلم من قصائده، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى طول كعبيه فيما يتعلقُ بقوة أسلوبه وكلماته، وإذا كان قد عاش لفترةٍ أطول، فإنه كان بالتأكيد ستكونُ له انجازاتً هائلةً في الشعر، لكنه رحل وهو لا يزالُ شابًا " [٢]، وابن جابيرول كان أول شعراء العبرية في استخدام الأوزان العربية الحادة التي قدمها دوناش بن لابراو، وكذلك كان من الرواد في المدرسة الإسبانية للشعر العبري[٣].

ويقول عنه سليمان مونك: " إن ابن جابيرول لجديرٌ بأن يُسمّى الباعث الحقيقي للشعر العبري، وأن يُعتبرُ صاحب الصدارة بيْن شعراء اليهود في العصور الوسطى، وربما كان أكبر شعراء عصره، نعم لقد صبّ شعره في قوالب الشعر العربي، ولكنه فاق شعراء العرب في مراتب الشاعرية، وسموّ أفكاره، وإحساسه الشاعري ". [٤]

وكان فنانًا ماهرًا ذا أسلوبٍ جميلٍ قلّ أن يضارعه فيه أحد، ودلّت مهارته في النثر والشعر والارتجال على سيّطرته على كنوز اللغة ومنابع المعاني فيها، وبالرغم من ذلك، فقد كان عليه في بعض الأحيان أن يبذل جهودًا من أجل إيجاد التعبير الذي يمكّنه من أن ينقل للقارئ أحاسيسه الجيّاشة وشعوره الفيّاض، ولم يكن يجدُ هذا التعبير دائمًا، وكثيرًا ما تظهرُ في شعره تعابيرٌ متعارضةٌ تزيدُ عما هي عليه لدى أصحاب المدرسة الإسبانية الآخرين، ويبدو بعض من أبياته لم يحظَ بالتشذيب أو الرتوش، وكأنما لم ينفسح المجال أمامه لإعادة النظر فيها،، ولعل الغريب في الأمر أن توجد إلى جانب هذه الأبيات أبياتٌ أخرى تفاجئُ القارئ بجمال مبانيها، وحلاوة معانيها، وجزالة ألفاظها، وابن جابيرول لا يدهشُنا فقط بالجمع

---

1 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

٢ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٣١٢.

3 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

٤ – آنخل جنثالث بالنثيا – تاريخ الفكر الأندلسي – نقله عن الأسبانية حسين مؤنس – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٥٥ م – ص ٤٩٣.

بيْن التضارب والتناسق في أشعاره فقط، وإنما أيضًا بالجمع بيْن الأساس العقلي والأساس العاطفي في كثيرٍ من انتاجه أيضًا، فتعبيره عن حدة الألم تصاحبُه بهجة الحب، وانتقاده الرصين يأتي بجانب نقاشه الحاد. [١]

وتشتركُ كل قصائد ابن جابيرول سواءً كانت طويلةً أو قصيرةً في أن أبياتها كلها تنتهي مع المقطع نفسه، حتى قصيدة " عناق " والتي تتكوّنُ من ٤٠٠ بيْتاً، وفي هذا أيضًا اتبع الشعراء العرب، وقصائده كلها حتى غيْر الدينية منها يتخللُها شعور ديني قوي، وأرقى تراكيبه تظهرُ في القصائد التي كتبها في مدح الحكمة [٢]، وقصائده الست في رثاء والده التي انطوت على يأسٍ وقنوطٍ شديدين [٣]، ومدائحه للحاخام جيكوثيل ورثائه له عند وفاته، وكذا رثائه وفاة راف هاي جاوون، وأبياته في مدح صمويل بن نجريلا، ولقد كان كثيرًا ما يشكو من أن الكثير من أفكاره النبيلة كان موْضع سخرية أصدقائه وانتقادهم، وكانوا ينصحونه بتحويل تفكيره إلى مسائلٍ أكثر أهميةٍ، وكانت راحته أنه على الرغم من أن جسده كان على الأرض يكونُ عقله في السماء. [٤]

وقد انخرط في الصراع غيْر المتكافئ بيْن النحاة السرقسطيين والغرناطيين بشأن اللغوْيات العبرية، وكان في صف الفريق الأول، ولكوْنه قرطبيًا متحررًا كان يسيئُ إلى الأرثوذكس ببدعٍ وهرطقات مثل التوْصية بعدم وجود الأطفال، وانتقاد العالم واستنكاره، والأفلاطونية المحدثة، وجنون العظمة، إلى جانب استخدام صفات الحيوان لخصومه، وهذا ما اضطره في النهاية للهروب من سرقسطة، ووصف الظروف التي أدت إلى رحيله في قصيدته " أغنية الخوْف ":

أجلسُ بيْن كل شخصٍ ملتوٍ ومخادعٍ، وقلبي هو فقط الحكيم

واحد يخدعني بسم الأفعى، والآخر يهجوني ويحاولُ إثارة حيرتي وبلبلتي

و ثالث يضعُ لي السم في دواءٍ لعلاجي، ويستحثني: اشرب، اشرب

شعبٌ لا أقبلُ بآبائه حتى ككلابٍ لأغنامي

وتظهرُ هذه القصيدة وغيْرها من قصائده أن كوْنه شاعرًا يهوديًا لم يحمه من كراهية اليهود الآخرين في سرقسطة الذين لقّبوه باليوناني بسبب ميوله العلمانية، بالرغم أن لغة

---

١ – سليم شعشوع – تاريخ الفلسفة والعلوم اليهودية في أرض الاسلام – مدخل دراسة وتذييل لويس صليبا – سلسلة اليهودية بأقلامٍ يهوديةٍ – العدد ٧ – دار ومكتبة بيبلون – جبيل – لبنان – ٢٠٠٧ م – ص ٢٣٧.

2 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

٣ – سليم شعشوع – مرجع سابق – ص ٢٣٣.

4 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

الكتاب المقدس تظهرُ واضحةً في الكثير من أشعاره، مع سيْره كمعظم شعراء العبرية المعاصرين له على خطى الشعر العربي وأسلوبه في الأوزان والقافية ومعظم الصوْر المتطوّرة، والعديد من قصائده تظهرُ تأثير المتنبي والمعري.

ويظهرُ الأثر العربي في موْضوعات أشعاره في قصائده عن الفخر المبالغ فيه، والحب، والهجاء، والنبيذ، والربيع، والمطر، والزهور، ووصفٌ تفصيليٌ مؤلمٌ لمرضه الجلدي المزمن[1]، كما تظهرُ الأسماء الحسنى لله من القرآن والسنة في قصائده مثل أحد، وموْجود، وحيّ، وكبير، وقوي، ونور، وإله حكيم، مع اختلاف أن أسماء الله الحسنى قد عُرّفت بأداة التعريف حتى يستطيعُ الكاتب والقارئ لها معرفتها وتمييزها، وهى هكذا لا تحتاجُ لإضافةٍ وتتصدرُ الجمل دون وصفٍ أو خبرٍ يدلُّ على ماهيتها، أما عند فصلها فلابد من الحاق خبرٍ أو وصفٍ كي لا يتجهُ المعنى للمخلوق دون الخالق. [٢]

وكان أول شعراء العبرية الذين استخدموا الأوزان العربية الحادة التي تمّ ادخالها من قبل دناش بن لابراو تلميذ سعديا، وأطلق عليه ابن عزرا اسم " كاتب الأغاني ذات الأوزان"، واستخدم اقتباسات من قصائد ابن جابيرول لتوضيح عدة أوزان في شرحه للقواعد، كما أن وصفه الشعري الطويل للقلعة أدى لاكتشاف بقايا قصر الحمراء الأول الذي بناه يوسف ابن صمويل بن ناجريلا، ومن انتاجٍ غزيرٍ للغاية له تمّ الحفاظ على حوالي ٢٠٠ قصيدةً علمانيةً وأكثر من ذلك قصائد دينيةً، ولكن لم تتبق أي مجموعةٍ شعريةٍ له، والعديد من بقايا مخطوطات قصائده ظهرت فقط في الآونة الأخيرة بيْن قصاصات من المخطوطات القديمة التي عُثر عليها في القاهرة والعراق، وأُدرجت قصائد دينية له في كُتب الصلاة في كل أنحاء العالم.[٣]

ومن القصائد الدينية التي قامت على التضرع لله، وهو أكثر المضامين شيوعًا في الإنتاج الأدبي الأندلسي، القصيدة التالية:

أيتها النفس الحكيمة اسجدي لإيل، وسارعي لعبادته برهبةٍ
إلى نهايتك تتوجهي ليْل نهار، فلماذا تطاردين العبث ؟
إيل حيٌّ يتحكمُ بحياتك، إنه خفي كما أنت خفيةٌ
إن كان خالقك طاهرًا نقيًا، فأنت مثله طاهرةٌ وكاملةٌ
قوي يحملُ على ذراعه السموات

---

1 – Encyclopedia Britannica – op. cit..

٢ – عمّار أحمد خلف قطب – مسميات الرب في أدب سليمان بن جابيرول – بحث مقبول النشر ضمن فعاليات مؤتمر الدراسات العبرية واليهودية، رؤى معرفية جديدة – كلية الآداب – جامعة عين شمس – ٢٠١٦ م – ص ٣٠.

3 – Chabad.org – op. cit..

وقد استخدم هنا إيل وقوي كمسميين للرب دلالةً على القوة [١]، ومثل هذه القصائد الدينية وبخاصةٍ الصلاة القصيرة تشيرُ إلى درجةٍ عاليةٍ من التمكن في الأدب الإسباني المغربي، وتظهرُ أيضًا التأثير العربي، وقصيدته النثرية الشهيرة " التاج الملكي " التي تتحدثُ عن قياسات مجالات الكوْن، تشعرُ القارئ بمدى ضآلته وضعفه في مواجهة الكوْن، لكنها تعطيه التعويض بالإشارة إلى النعمة الإلهية. [٢]

ولقد بدأ كتابة الشعر العبري في سنٍ صغيرةٍ جدًا، وفي السادسة عشرة كتب قصيدةً شهيرةً بعنوان " أزهاروث " تبدأُ بكلمات " أنا سيْدٌ، والغناء هو عبدي "، وهى تعرضُ لحوالي ٦١٣ مبدأً من تعاليم التوراة، وتمّ تضمينها في كتاب الصلاة مع قصائد " أغنية المجد " و" أغنية الوحدة " و" التاج الملكي "، كما كتب أيضًا قصيدة " كينوث " في رثاء تدمير الهيكل وإسرائيل [٣]، وقبل أن يكمل العشرين من عمره كتب قصيدة " عناق "، و تحوي قواعد اللغة العبرية بشكلٍ مبسطٍ وحوالي ٥٥ شكلاً من أشكالها، وتتألفُ من أربعمائة بيتاً مقسمةٌ إلى عشرة أجزاءٍ، استطاع سليمان بارون انقاذ خمسة وتسعين بيتًا منها والحفاظ عليها [٤]، وقد نشر أيبرت ترجمةً لاتينيةً لها في فرانكفورت عام ١٦٣٠م، ثم طُبعت بعد ذلك عدة مراتٍ بلغاتٍ مختلفةٍ [٥]، وفيها يلومُ ابن جابيرول أبناء شعبه من اليهود على إهمالهم اللغة العبرية، ويطلقُ عليهم الجماعة العمياء [٦]، فنصفهم كان يتحدثُ بلغة أيدوم أو الإسبانية، والنصف الآخر باللغة الخاملة أو لغة كيدار وهى العربية. [٧]

وتتضمنُ أعمال ابن جابيرول الأدبية الرئيسة ما يمكن أن نسمّيه بشعر الحكمة، وهى قصائدٌ تعكسُ بوضوحٍ العلاقة بيْن الشعر والفلسفة، وتظهِر سعي ابن جابيرول للبحث عن المعرفة، والارتقاء، وإعادة اكتشاف الحكمة، والمعنى الكامن وراء هذه القصائد، والذي ينعكسُ أيضًا في أعماله الفلسفية، هو أن إقامتنا على هذه الأرض مؤقتةٌ، وهو يصوّرُ نفسه على أنه يكرّس حياته للمعرفة من أجل تجاوّز الفراغ واللا قيمة للوجود البدني، ويثيرُ أسئلةً فلسفيةً مهمةً عن طبيعة اللغة والنفس واللاهوت، ويرسمُ أوجه تشابهٍ بيْن عمل الله في الخلق من خلال الكلمة، وعمل الشاعر والفيلسوف بالكتابة، ويدعو لإعادة تصوّر الذات الإنسانية المقدسة،

---

١ – عمّار أحمد خلف قطب – مرجع سابق – ص ١٢.

2 – Encyclopedia Britannica – op. cit..

3 – Chabad.org – op. cit..

٤ – آنخل جنثالث بالنثيا – مرجع سابق – ص ٤٩٤.

5 – Isaac Myer – op. cit. – P. 4.

– آنخل جنثالث بالنثيا – مرجع سابق – ص ٤٩٤.

٦ – ماكس مارجوليز، ألكسندر ماركس – تاريخ الشعب اليهودي أو كيْف يروي اليهود تاريخهم – سلسلة اليهودية بأقلامٍ يهوديةٍ – العدد ٣ – دار ومكتبة بيبليون – بيبلوس – لبنان – ٢٠١٤ م – ص ٦٥.

والعلاقة بيْن بناء النظرية الفلسفية والخيال الشعري، وأشهر الأمثلة وأوضحها على هذا الشعر الفلسفي الصوفي هو تحفته " التاج الملكي "، التي تُقرأُ حتى اليوْم في أهم الأعياد اليهودية، وهو عيد الغفران كيبور[١]، لأنها تحتوي على نسخةٍ شعريةٍ من اعتراف الخطايا الذي هو جزءٌ أساسيٌ من ذلك اليوْم[٢]، وهى قصيدةٌ تسحرُ الألباب بجمال ألفاظها وعمق معانيها، كما أن فيها فكرةٌ علميةٌ عن العالم، حيْث يتصوّرُ التسلسل الهرمي لمجالات النجوم والكواكب السماوية، ويصفُها بتفصيلٍ دقيقٍ بادئًا بالله على قمتها، ثم المجال العاشر وهو العقل، فالتاسع هو العالم، والثامن النجوم، والسابع كوْكب زحل، والسادس المشترى، والخامس المريخ، والرابع الشمس، والثالث الزهرة، والثاني عطارد، والأول القمر، ثم بعد ذلك الأرض [٣]، ويتحدثُ بعد ذلك عن المخلوقات كسلسلة مترابطة الحلقات كل حلقةٍ ترتبطُ بما بعدها.[٤]

وفي القصيدة أيضًا إشارةٌ لسعي كل المخلوقات بالفطرة للقرب من الله الخالق [٥]، وحديثٌ عن عودة الروح البشرية من بعد الممات إلى أصلها الطاهر [٦]، وكذا يظهرُ التأثير الأرسطي في حديثه عن العقل الفعّال ودوْره في عملية الخلق، ودوْر الحواس الجسدية المهم في الحصول على المعرفة مع ما فيها من مواطن ضعفٍ وقصورٍ [٧]، وأهم المصادر التي استعان بها في كتابتها هى نصوص العهد القديم، والتي أسعفته بالأدوات التعبيرية، وشكّلت له معينًا لا ينضبُ يستقي منه تعابيره، بل لقد لجأ في كثيرٍ من الأحيان إلى الاقتباس الحرفي لعباراتٍ بكاملها منها [٨]، والأجزاء الفلسفية من القصيدة والتي تشكّلُ مقدمةً فلسفيةً للاستنتاج الليتورجي (العلم الأخروي المسيحاني) لها موْضوعها الرئيس الذي هو الطبيعة العظيمة لله [٩] ووحدانيته وقدرته: " أنت إلهنا وكل ما خلقته عبيدك، وهم يعبدونك ولن يضير عظمتك وألوهيتك كفر الذين يعبدون غيْرك ويقصدون النيْل منك ". [١٠]

---

1 – Daniel H. Frank , Oliver Leaman - Routledge History of World Philosophies – Vol. 2 – History of Jewish philosophy – Routledge – London and New York – First published – 1997 – P. 124.

2 – Arthur Hyman – Eschatological Themes in Medieval Jewish Philosophy – under the auspices of the Wisconsin-Alpha Chapter of Phi Sigma Tau – Marquette University press – 2002 – P. 66.

٣ – ماكس مارجوليز، ألكسندر ماركس – مرجع سابق – ص ٦٦.

4 – Marla Segol – Medieval Religious Cosmopolitanisms , Truth and inclusivity in the literature of Muslim Spain – New York – USA – 2013 – P. 80.

5 – Ibid – P. 82.

٦ – ماكس مارجوليز، ألكسندر ماركس – مرجع سابق – ص ٦٦.

7 – Marla Segol – op. cit. – P. 86.

٨ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ١٦٤.

9 – Arthur Hyman – op. cit. – P. 66.

١٠ – ماكس مارجوليز، ألكسندر ماركس – مرجع سابق – ص ٦٦.

" أنت واحد وسر وحدتك يثيرُ التعجب لأنه لا يعرفُه أحدٌ، أنت واحد ووحدتك لا تقلُّ ولا تزيدُ ولا تكونُ أقلُ مما يجب أن تكونُ ولا أكثر، أنت واحد ولكن ليْس الواحد الذي يُحسبُ أو يُعدُّ، فالعدد والتغيير لا يمكنُ أن يصلا إليك ولا التوصيف ولا الصورة ". [1]

" أنت الضوء الأسمى، وعيون من هو نقي الروح سوف تراك، بيْنما غيوم الخطيئة ستحجبُك عن أعين الخطاة، أنت الضوء الخفي في هذا العالم والظاهر في عالم الجمال، " في جبل الرب سوف يُرى "، أنت الضوء الأزلي والذي تتوقُ إليك العيْن والقلب " (مقتطف من " التاج الملكي "، القسم الأول الثناء على الله وحمده).

وتُرجمت القصيدة للإنجليزية سبع مرات على الأقل، وتوجدُ اصداراتٌ أخرى لها باللغات الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، والهولندية، واللاتينية، والفارسية، والعربية.

ولا شك في أن ابن جابيرول فاق جميع شعراء عصره بإضفائه روحًا شعريةً جميلةً على المواضيع الدينية، وقد رأى في كتابة هذا النوْع من القصائد واجبًا عليه تجاه خالقه، وأضاف إلى الآداب العبرية انتاجًا لم يكن مثيلٌ منذ عهد الكتاب المقدس، وهو المقدمات الشعرية القصيرة التي وضعها لبعض الصلوات، ووضعها تطلبُ منه تركيزًا عقليًا كبيرًا من حيْث الفكرة والتعبير عنها، وذلك بالنظر إلى أن كل مقدمةٌ كانت تتألفُ من أربعة أو خمسة أبياتٍ، وهى الصورة الشعرية المعروفة في الشعر العربي باسم الرباعيات، وجذبت إليها شعراء عربًا كبارًا، وصحيحٌ إن هذه الأبيات من الشعر سهلةٌ من حيْث القافية، إلا أنها بالنظر لكوْنها قصيرةٌ فلم ينجح في كتابتها إلا شعراء مهرةٌ متمرسون في فن الاختصار.

وبالإضافة إلى ذلك النوْع من الأشعار وعشرات القصائد الأخرى في هوى الصبايا أو الصبيان، وفي الخمر، ووصف الطبيعة والحدائق، فقد كان هناك أمرًا واحدًا ينغصُ عليه جميع حياته ويحتلُ قسمًا كبيرًا من أشعاره، ألا وهو الخوْف من مفاجأة القدر له بالرحيل شابًا، قبل أن يحقق كل ما يصبو إليه، غيْر أنه وجد في حكمة الخالق اكتفاءً وتنفيسًا وتعزيةً فكريةً، فنراه في بعض أشعاره قد قرّر أن ينتظر النهاية ويقبلها كما يقبلُها بقية الناس، فيقولُ: " ولماذا نقلقُ من الموْت ونجفلُ من ذكره، ولماذا نكرهُ الكأس وعلينا أن نشربها حتى الثمالة؟"، وكان يعبّرُ في كثيرٍ من الأحيان عن أن الموْت في حد ذاته لا يخيفُه، ولكن المخيف حقًا بالنسبة له هو الحساب يوْم الدين. [2]

---

1 – Arthur Hyman – op. cit. – P. 67.

٢ – سليم شعشوع – مرجع سابق – ص ص ٢٣٩ / ٢٤٠.

وقد جُمعت أشعار ابن جابيرول في مجموعةٍ كبيرةٍ من ثلاثة أجزاء طُبعت في تل أبيب في أعوام ١٩٢٤ م و١٩٢٥ م و١٩٢٧ م وموْجودة في مكتبة جامعة القاهرة، يحتوي الجزء الأول على الشعر غيْر الديني، والثاني على الشعر الديني، والثالث على النوْعيْن. [١]

رابعًا: فلسفة ابن جابيرول ومدى تأثرها بالفلسفة الأرسطية:

قام ابن جابيرول بالدور نفسه الذي لعبه فيلون من قبل حيْن كان الوسيط بيْن الفلسفة الهيلينية، خاصةً الأفلاطونية وبيْن العالم الشرقي، وقدّم المزيج الناتج للعالم الأوروبي المسيحي، وبعد ألف سنة قام ابن جابيرول أيضًا بالتوْليف بيْن الفلسفتين اليونانية والعربية وقدم نتاج ذلك لأوروبا، ومن الغريب أن التعاليم الفلسفية لكلٍ من فيلون وابن جابيرول تمّ تجاهلها من قبل زملائهما اليهود، وكلاهما كذلك كان له تأثيرٌ كبيرٌ جدًا في الأوساط المسيحية لا اليهودية في عصره، وكانت تعاليم ابن جابيرول مثله مثل الفلاسفة العرب واليهود الآخرين، في سعيها لجلب فلسفة اليونان تحت مظلة الكنيسة المسيحية مجرد عودة لتعاليم العلماء المسيحيين في وقتٍ سابقٍ، والذين ترجموا الأعمال الرئيسة للفلسفة اليونانية إلى السريانية والعربية.

كما يشيرُ سيرلن إلى تشابهٍ آخرٍ بيْن ابن جابيرول وسبينوزا، وهو أن كليهما أبقى أفكاره الفلسفية خاليةً من التحيّز اللاهوتي [٢]، ولقد نجح في الجمع ما بيْن عناصر التصوّف للأديان السماوية الثلاثة، وهو ما أبعد عنه اليهود المتشددين لرفضهم له، بيْنما جذب إليه انتباه الصوفية منهم ومن المسيحيين والمسلمين كذلك، وفعل هذا في الوقت نفسه الذي بقى فيه مخلصًا تمامًا لدينه وعقيدته اليهوديين [٣]، وكتابات الفلاسفة اللاحقين عليه تشيرُ إلى اقتباساتٍ له من الكتاب المقدس، ولكن لا يوجدُ أي أثرٍ باقٍ لها، وأحدها أشار إليه إبراهيم بن عزرا في تفسيره لقصة الجنة، ويقدمُ الأفكار الفلسفية في النص التوراتي، واثنان آخران يظهران ابن جابيرول كمؤيدٍ للتفسير التوراتي العقلاني لسعديا الفيومي، والذي شرح المعجزات المرتبطة بالثعبان النحاسي، وحمارة بلعام، وأيضًا قدم سليمان بارون، وديفيد قمحي وكلاهما من القرن الثاني عشر، نماذج من تفسيرات ابن جابيرول. [٤]

---

١ – إبراهيم موسى هنداوي – الأثر العربي في الفكر اليهودي – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٣ م – ص ٨٧.

2 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

3 – Tom Block – op. cit..

4 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

ويذهبُ بعض العلماء والباحثين إلى أن ابن جابيرول يُعتبرُ أحد تلامذة المدرسة الأفلاطونية النجباء في علم ما وراء الطبيعة، ولكنه في الحقيقة قد أخذ من كل مذهب بطرفٍ على طريقة علماء عصره من العرب المسلمين، فاعتمد على مذهب أفلاطون ومذهب أرسطو، ومدرسة فيلون السكندري، وذلك على غيْر علمٍ منه، وعذره في ذلك هو أنه لم يقف على أفكار كل مذهبٍ على حدة، بل إنه كان تلميذًا بارًا للأساتذة العرب في هذه الدراسات من أمثال ابن سينا، والفارابي، وغيْرهما، كما كان تابعًا مخلصًا لمدرسة ابن مسرة المعتزلية الأندلسية، ولما كان أولئك العلماء قد أخذوا بعلوم اليونان فدرسوها وشرحوها وأضافوا ما كان ينقصُها حتى تبلورت على أيديهم نظريةً فلسفيةً متكاملةً في علوم ما وراء الطبيعة قدموها للعالم سهلةً سائغةً، لذا فإن ابن جابيرول اطلع على هذا العلم كاملاً متبلورًا، وأخذه على هذه الصورة التي يصعبُ معها إرجاع أصولها إلى مدرسةٍ بعيْنها من مدارس الفلسفة اليونانية.[١]

ولقد كان التداخل كبيرًا وملحوظًا في هذه الفترة خصوصًا ما بيْن الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة من ناحيةٍ، والأرسطية من ناحيةٍ أخرى، وظهر ذلك بشكلٍ واضحٍ و ملحوظٍ في المؤلف الذي نُسب لأرسطو وحمل عنوان " لاهوت أرسطو "، وهو في حقيقته أجزاءٌ من تاسوعات أفلوطين [٢]، هذا فضلاً عن الأفلاطونية المحدثة نفسها من المذاهب الجامعة التي لم تأخذ من أفلاطون فحسب، بل من معظم المذاهب الفلسفية اليونانية ومن بيْنها الأرسطية. [٣]

ويهتمُ ابن جابيرول أولاً وقبل كل شيئٍ بفهم طبيعة الإنسان والهدف من وجوده، فيجب أن نفهم طبيعتنا أو ماذا نكونُ حتى نعرفُ الغرض من وجودنا وكيْف نحققُه، هذه المجموعة من الأسئلة الإنسانية المترابطة هى ما يهمُ ابن جابيرول حتى عندما يبدو أنه منهمكٌ في دراساتٍ كوْنيةٍ وميتافيزيقيةٍ خالصةٍ لا علاقة لها بالإنسانيات، فهو يستكشفُ الحقائق الكوْنية والميتافيزيقية في محاولةٍ لفهم كيفية تحقيق أفضل حياةٍ بشريةٍ ممكنةٍ، كما يصفُ عمل الله الابداعي عبر كتاباته الفلسفية والشعرية بطرقٍ عديدةٍ نجد بيْنها اختلافًا وتفاوتًا يصلُ إلى حد التعارض والتناقض في بعض الأحيان، ويستخدمُ مجموعة مصطلحات تتعلقُ بوصف هذا الفعل الإلهي، منها: الخلق، الانبثاق، الإرادة، الحكمة، الكلمة، الرغبة. [٤]

---

١ – آنخل جنثالث بالنثيا – مرجع سابق – ص ٤٩٣.

2 – Peter Adamson – Aristotelianism and the Soul in the Arabic Plotinus – Journal of the history of ideas – New York – USA – 2001 – P. 211.

3 – Isaac Husik – A History of Mediaeval Jewish Philosophy – The Macmillan company – New York – USA – 1916 – P. 64.

4 – I. Davidson – op. cit. – P. 15.

ولقد أحب الميتافيزيقا واشتغل بها وكتب عدة أبحاثٍ واسعةٍ وعميقةٍ فيها، أثارت غضب البعض من اليهود، فعلى سبيل المثال كان ابن جناح الباحث المشهور في علوم اللغة ومن أصدقاء ابن جابيرول من المعارضين بشدةٍ للبحث فيما وراء الطبيعة، كما ادعى العالم ابن داوود بعد وفاة ابن جابيرول بمائة عام أنه قد ضلّل الأمة بأبحاثه الميتافيزيقية، وقد فسّر ابن جابيرول نفسه سبب هذا الموْقف منه بأن يهود سرقسطة يريدون منه أن يخاطبهم بلغةٍ واضحةٍ وليْس بلغة العلماء، وأنهم يعادونه لأنهم إنما يظنون أن أبحاثه هى ضربٌ من السحر [١]، ولعل هذا هو السبب في بقائها لزمنٍ طويلٍ مجهولةً منسيةً، حتى كادت أن تختفي تمامًا، على ما هى عليه من الأهمية. [٢]

١ – كتاب " ينبوع الحياة ":

ينبوع الحياة " أو بالعبرية מקור חיים، هو الكتاب الفلسفي الرئيس لابن جابيرول، و كان مكتوبًا باللغة العربية في شكل حوارٍ بيْن معلمٍ وتلميذٍ، واُشتق اسمه من المزامير (١٠: ٣٦): " لأن بيدك النافورة أو مصدر الحياة، في ضوئك لا نرى ضياءً آخر "، و أيضًا من موْضوع الكتاب الذي يدورُ حوْل أن المادة والصورة هما أساس الوجود ومصدر الحياة في كل شيئٍ خُلق، وتُرجم إلى اللاتينية عام ١١٥٠ م برعاية مطران طليْطلة ريموند، الذي أسس مكتبًا للترجمة به رئيس شمامسة سيغوفيا دومينيكوس غونديزالفي أو غونديساليموس مع الطبيب اليهودي الذي تحوّل للمسيحية جون هيسبانوس أو هيسبالنسيس المعروف باسم ابن داوود [٣]، حيْث ترجم الأخير النص العربي للكتاب شفهيًا إلى الأسبانية، ثم ترجم الأول الأسبانية إلى اللاتينية المكتوبة، والكتاب يحملُ أيضًا عنوان " من المادة والصورة "، ومخطوطته في مكتبة مازارين الفرنسية تحت عنوان " المادة الكلّية ".

وعن سبب كتابة الكتاب باللغة العربية وليْس العبرية، فهو رغبة ابن جابيرول في نشر مذهبه الفلسفي في الأوساط العلمية العالية في عصره، لما كانت عليه اللغة العربية من انتشارٍ وسيْطرةٍ، حيْث كانت لغة العصر في ذلك الوقت، ويكونُ بذلك قد كتبه لا يقصدُ منه بني قوْمه اليهود فحسب، بل يتوجهُ به لشعوب العالم أجمع ويحققُ لعلمه الانتشار، والأمر لا يرجعُ إلى التفسير القائل بأن اللغة العبرية في تلك الفترة من تاريخها كانت على حالةٍ من الضعف والاضمحلال، بحيْث لا تصلحُ للقيام بمهام التعبير العلمي وخاصةً في مجالٍ كمادة

---

١ – سليم شعشوع – مرجع سابق – ص ٢٣٥.
٢ – شاهين مكاريوس – تاريخ الإسرائليين، اليهود قديمًا وحديثًا مع تراجم مشاهيرهم شرقًا وغربًا – خاتمة بقلم روفائيل ابن شمعون – سلسلة اليهودية بأقلامٍ يهوديةٍ – العدد ١٠ – دار ومكتبة بيبليون – جبيل – لبنان – ٢٠٠٧ م – ص ١٧٥.
3 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

الكتاب الميتافيزيقية، مع ما في هذا من الحقيقة المؤكدة، ولكن فيما يتعلقُ بابن جابيرول فهو شاعرٌ قبل أن يكون ناثرًا، وقف على اللغة العبرية وتملك أسرارها، حتى استطاع نظم الشعر بها على كافة الوجوه وفي كافة الموْضوعات، مما أهلّه لأن يوصف بفارس الكلام، هذا بالإضافة لنظمه قصيدة " عناق " النحوْية قبل كتابة " ينبوع الحياة ". [١]

وقد فُقدت النسخة العربية الأصلية للكتاب وبقيت فقط النسخة اللاتينية [٢]، ودخلت حظيرة الدراسات الخاصة باللاهوت في الكنيسة المسيحية الكاثولكية مع صوَرٍ مختلفةٍ من التحريف في اسم مؤلفه حتى لم يكن يُعرفُ إن كان يهوديًا أم مسيحيًا أم مسلمًا[٣]، إلى أن حلّ عام ١٨٤٦ م وبطريق الصدفة عثر المستشرق اليهودي الفرنسي سليمان مونك في المكتبة الأهلية بباريس على مخطوطٍ عبريٍ لشيم توف ابن فالاكويرا يحمل عنوان " مختارات من كتاب ينبوع الحياة "، فلفت انتباهه الشبه بيْن عنوانيّ المخطوط والكتاب اللاتيني، وقارن بيْنهما ليكتشف أن الكتاب هو لفيلسوفٍ يهودي كتبه باللغة العربية، وأن المخطوط ترجم مختاراتً من الأصل العربي إلى اللغة العبرية في القرن الثالث عشر، ثم قام العالم اليهودي الشهير يعقوب بلوبشتاين بترجمة الكتاب من اللاتينية إلى اللغة العبرية في عام ١٩٢٦ م.[٤]

و" ينبوع الحياة " يتناولُ بالمعالجة خمس قضايا أساسية: ١ – المادة والصورة بشكلٍ عامٍ وعلاقتهما بالمواد الفيزيائية ٢ – المادة التي تسببُ مادية العالم ٣ – البراهين على وجود المواد الأولية أو الأساسية كوسائطٍ بيْن الله والعالم المادي ٤ – البراهين على أن هذه المواد الأولية توجدُ بالمثل من مادةٍ وصورةٍ ٥ – المادة الكوْنية والصورة الكوْنية.

ويمكنُ تلخيص المذاهب الرئيسة للكتاب على النحو التالي: ١ – جميع الكائنات المخلوقة تتكوّنُ من الصورة والمادة ٢ – مثلما ينطبقُ هذا على العالم المادي الذي يتكوّنُ من موادٍ ماديةٍ أو مركبةٍ، فهو ينطبقُ أيضًا على العالم الروْحي الذي يتكوّنُ من كائناتٍ ماديةٍ بسيطةٍ، وهى حلقة الوصل بيْن المادة الأولى الإلهية والمادة التي تنقسمُ إلى تسع فئات، أو بعبارةٍ أخرى العالم المادي ٣ – إن المادة والصورة هما دائمًا وفي كل مكانٍ في علاقة ترابطٍ وتكاملٍ وتدعيمٍ كلٍ منهما للأخرى.

وبمعنى آخر فموْقف ابن جابيرول هو أن كل الأشياء الموْجودة تُنقسمُ إلى ثلاث فئاتٍ: المادة الأولى أو الله، المادة والصورة أو العالم، والإرادة كوسيطٍ بيْنهما [٥]، ويرجعُ

١– يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ص ٢١٠ / ٢١١.

2 – Chabad.org – op. cit..

٣ – آنخل جنثالث بالنثيا – مرجع سابق – ص ٤٩٣.

٤– جورج فيدا – مرجع سابق – ص ١٣٣.

5 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

هذا الرأي لديه إلى اعتقاده بأن العدد ثلاثة هو نموذج الكمال في التعبير عن التعددية الديناميكية التي تعودُ إلى الاتحاد، فإن كل موجودٍ له مصدرٍ أو سببٍ، والقوة الوسيطة بيْنهما التي تجمعُهما تكملُ العدد ثلاثة، ولعل هذا من العوامل التي ساعدت على الاعتقاد لفترةٍ طويلةٍ بمسيحية كاتب " ينبوع الحياة "، رغم أنه ليْس هناك ما يمنعُ وجود هذه الفكرة في اللاهوت اليهودي. [١]

وهناك موادٌ روْحيةٌ تتميّزُ بالجانب العقلي فيها، وموادٌ ماديةٌ تحتوي بحكم مكانها في التسلسل الهرمي للكوْن على عددٍ وافرٍ من الصوْر، وكلاهما أثار الجدل بيْن العلماء المسيحيين، فالنوْع الأول أو المادة العاقلة أو الذكية أكّد البعض أهميتها لأنها تدخلُ في تكوين الكيانات غيْر المادية وتميّزُ بيْنها وبيْن الله، بيْنما رآها البعض الآخر تتعارضُ مع الثنائية التي تستندُ عليها ميتافيزيقا الأفلاطونية المحدثة، أما النوْع الثاني أو المواد المادية وما بها من صوْرٍ فرآها البعض تعرضُ وحدة الفرد للخطر، إذ أُثير سؤالٌ حوْل ما إذا كانت الكائنات الحية تتكوّنُ من روحٍ واحدةٍ أو كثيرةٍ، وإذا ما كان الاحتمال الأخير هو الصحيح – كما قال ابن جابيرول – يكونُ التساؤل: كيف يمكنُ لمثل هذا الكائن المركّب أن يكون كيانًا وحدوْيًا؟[٢]

والجواب أن ابن جابيرول يربطُ ما بيْن الله والعالم من خلال سلسلة من الفيّضات أو الانبثاقات تتمُّ بالإرادة الإلهية، وكان ابن جابيرول قد وضع كتابًا منفصلاً عنها لكنه فُقد، ولم يشر لذلك إشاراتً تفصيليةً لها في " ينبوع الحياة "، ولكن ما ذكره عنها فيه يكفي لمعرفة رؤيته لها [٣]، وعلاقة هذه الإرادة بالله أو الجوْهر الأول لا تزالُ تمثّلُ إشكاليةً إلى حدٍ ما، فهى القوة الخلاّقة لله، ولذا من المفترض أنها في الله ولا تنفصلُ عنه، لكنها أيضًا أول ما يفيضُ عن الله، وبهذا لا تكونُ سمةً وإنما أقنوم منفصل، ولكن في كلتا الحالتين فإنها هى السبب في جميع المواد التي تمّ انشاؤها، سواءً الروْحية أو المادية.

واعتماد ابن جابيرول على الدور الابداعي للإرادة الإلهية، وبالتالي على طواعية الخلق يتناقضُ بشكلٍ كبيرٍ مع أسلافه اليونانيين الذين رأوا الحتمية هى الأساس في الخلق، بيْنما ابن جابيرول والعديد من خلفائه اليهود يؤكدون على الطواعية في العمل الابداعي الإلهي أو الإنساني، إنهم يرون العالم ليْس كسلسلةٍ من الخطوات المحددة سلفًا أو خلودًا متدفقًا من الضرورة كما يصفُ جوتمان، ولكن كفعلٍ حرٍ من الله، وفي نظام ابن جابيرول

---

1 – Eliezer Schweid – The Classic Jewish Philosophers from Saadia Through the Renaissance – translated by Leonard Levin – Brill – Boston – USA – 2008 – P. P. 73 / 74.

٢ – جورج فيدا – مرجع سابق – ص ١٣٦.

3 – Eliezer Schweid – op. cit. P. 79.

المادة والصورة غيْر قابل لاختزال بعضهما البعض، وينبعان في نهاية المطاف من مصادرٍ مختلفةٍ، ومَوْجودان في كافة مستويات الخلق في العالم. (١)

وعلى الرغم من أن دوْر الإرادة بالوساطة في الكوْن يشيرُ إليه ابن جابيرول في معظم الأحيان بأنه يكونُ بيْن المادة والصورة من جهةٍ، والجوْهر الإلهي من جهةٍ أخرى، فإنه أحيانًا ما يذكرُه على أنه يكونُ بيْن المادة والصورة للربط بيْنهما وتكوين المَوْجودات، وفي بعض الأحيان يصفُ الإرادة بأنها المصدر المباشر للمادة والصورة وليْست مجرد وسيطٌ بيْنهما أو بيْنهما وبيْن الجوْهر الإلهي، غيْر أنه في أحيانٍ أخرى أيضًا يذهبُ إلى أن الإرادة هى المصدر المباشر لخلق الصورة فقط وليْس المادة، ومما يؤكدُ ذلك إشارته إلى أن الإرادة مطابقةٌ للحكمة، وأن الحكمة هى المصدر الوحيد للصورة وليْس المادة، حيْث إن الجوْهر الإلهي نفسه هو المصدر المباشر للمادة، وهذا يعني أن مذهب ابن جابيرول يتضمنُ أن الإرادة الإلهية ليْست مسئولةٌ فقط عن توليد المادة والصورة أو إحداهما، ولكنها مسئولةٌ بطريقةٍ ما عن العلاقة بيْنهما في كل الأشياء المركبة منهما، ومن ثم فإنها مسئولةٌ عن الحفاظ على جميع الأشياء، وتمثّلُ قوة الله الخلاّقة في جوْهر الوجود. (٢)

ولكن علاقة الحكمة والإرادة هنا أقل وضوحًا مما هى في قصيدة "التاج الملكي"، وتبدو في جزءٍ من حوار المعلم وتلميذه في بداية الكتاب، حيْث يسألُ الطالب أستاذه عن الغرض من حياة الإنسان، فيجيبُه معلمه بأنه ربط الروح البشرية بالعالم العلوي لأن كل شيئٍ يعودُ إلى ما يشبهُه، ليسأل التلميذ مجددًا عن كيْفية تحقيق ذلك، لتكونُ إجابة الأستاذ أنه يتمُّ بالعلم والعمل، وبهما ترتقي الروح للعالم العلوي، فالعلم يؤدي للعمل، والعمل يبعدُ عن الروح تلك الأشياء الضارة بها المقيّدة لها، فتعودُ من ثم إلى طبيعتها وجوْهرها الحقيقي، أي أن المعرفة والعمل يحرران الروح من استعبادها في العالم المادي، ويخلّصاها من الأوهام والضلالات، وبالتالي يمكنُها العوْدة إلى العالم العلوي. (٣)

والمعلم هنا يرشدُ الطالب لجوْهر الروح وطبيعتها، موضحًا أن مهمة الروح هى معرفة كل الأشياء على حقيقتها، وبخاصةٍ اكتساب المعرفة بالجوْهر الأول، وهو الذي يحافظُ على كل شيئٍ ويحرّكُه، ثم يسألُ الطالب ما إذا كان من الممكن معرفة الجوهر الأول، ويردُّ المعلم بأنه من الممكن فقط معرفته من خلال أعماله.

---

1 – L. E. Goodman – Routledge Encyclopedia of Philosophy – Ver. 1.0 – Routledge – London and New York – 1998 – P. 3776.
2 – Ibid – P. 3778.
3 – Arthur Hyman – op. cit. – P. P. 70 / 71.

وفي سؤال للطالب عن فائدة المعرفة، يجيبُ المعلم بأنها النجاة من الموت والارتباط بأصل الحياة ومصدرها وهو العقل الكوْني، والمعرفة التي يتحققُ بها الخلود تبدأُ بمعرفة العالم بما في ذلك السماوات والعقل الكوْني، وتنتهي بمعرفة الإرادة والجوْهر الأول. (١)

واهتمام ابن جابيرول الواضح بالإرادة الإلهية يفسّرُ جزئيًا اعتقاد العديد من الفرنسيسكان المسيحيين بأن " ينبوع الحياة " من تأليف مسيحي وأوغسطيني بالتحديد، حيْث استنتج بعض الباحثين على أساس فكرة الإرادة الإلهية لدى ابن جابيرول أنه مثل أوغسطين يعني بها سُلطةً إلهيةً في مقابل الفيْض أو الانبثاق، في حيْن أن تفاصيل الكوْن عند ابن جابيرول معقدةٌ، ومفهومه عن الإرادة مخالفٌ لأوغسطين، فمجرد التشابه مع أوغسطين لا يعني أنه أوغسطيني، ومن الخطأ منهجيًا تقييمه أو نقده من وجهة نظر الأوغسطينية التي لا تقودُنا لفهم الصورة الميتافيزيقية التي حاول رسمها.

وابن جابيرول مثل أبروقلس يعطي أولويةً ملحوظةً للمادة، مخالفًا أرسطو الذي مصدره النهائي هو الله أو الجوْهر الأول، أما الصورة فمستمدةٌ من الإرادة الإلهية وأحد الانبثاقات عن الإله، وهناك مفارقةٌ في إعطاء المادة التي يتعاملُ معها القانون الكنسي باعتبارها مصدر كل الشرور أصلاً إلهيًا مباشرًا، غيْر أن أولوية المادة وأصلها الإلهي يرجعان لأنها جنسٌ صنع تمييزاتً بالاختلافات المتتالية. (٢)

ويُرجعُ ابن جابيرول المادة والصورة إلى الوجود المطلق، وفي الألوهية أو اللاهوت يفرّقُ ما بيْن الوجود والصفات أو السمات، ويُرْجعُ الإرادة والحكمة إلى السمات، فهو يعتقدُ أن الألوهية هى الوجود، وهى أيضًا الإرادة أو الحكمة التي هى متطابقةٌ مع الطبيعة الإلهية، هذا الموْقف أساسي في مذهب ابن جابيرول الذي يعلّمُ أن وجود الله هو معرفةٌ(٣).

ويعرّفُ ابن جابيرول – مستخدمًا المصطلحات الدينية – مجال أو عالم المادة الكلّية والصورة الكلّية بالعرش الإلهي، ثم يأتي بعد ذلك العقل الكلّي، فالمجال الخارجي المسئول عن الحركات المتعاقبة للأجرام السماوية، فالأجرام السماوية المتبقية، فالأرض، وأخيرًا العناصر الأربعة. (٤)

كيْف يتمُّ ربط الصورة والمادة ؟ يبدو ابن جابيرول متناقضًا تجاه هذا السؤال ويعرضُ بديلين، فمن ناحيةٍ يشيرُ إلى أن الصورة والمادة متبادلان فيما بيْنهما، ولا يتميّزان إلا

1 – Ibid – P. 73.
2 – L. E. Goodman – op. cit. – P. 3779.
3 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..
4 – Arthur Hyman – op. cit. – P. 67.

وفقًا لمنظورنا لهما في وقتٍ معينٍ، وبالتالي فكلاهما أجزاءٌ من المادة البسيطة، ومن ناحيةٍ أخرى فإنه يؤكّدُ على المعارضة الكاملة بيْن المادة والصورة، مما يعني أن كليهما يمتلكُ خصائص خاصةً متبادلةً تجعلُ من الاستغناء عن أحدهما لحساب الآخر غيْر ممكن.

وتظهرُ أهمية هذه الاختلافات في مناقشة ابن جابيرول بشأن الخلق، فعند وصف ما تتوقُ له المادة وتسعى إليه، يقولُ ابن جابيرول أنه برغم انشاء المادة بعيدةً عن الصورة، فإنها تتوقُ الآن لّلقاء معها، ومع ذلك في سياقاتٍ أخرى يؤكّدُ أن المادة لا تبقى حتى لحظةً دون صورةٍ، وأنها ودائمًا كانت كذلك متحدةً مع صورةٍ، وبالإضافة إلى ذلك يقدمُ ابن جابيرول رأيين عن عملية الخلق الفعلية، فوفقًا لـ " ينبوع الحياة " إن المادة الكلّية تأتي من جوْهر الله والصورة من الإرادة الإلهية، في حين أن النصوص الأخرى تشيرُ إلى أن كليهما ترجعُ نشأته للإرادة الإلهية. [١]

ويمكنُ مقارنة عملية الخلق عند ابن جابيرول بالكلمة التي ينطقُها الإنسان بفمه، فبتعبيره عنها يتمُّ تسجيل صورتها ومعانيها في أذن المستمع ومن ثم في ذهنه، على المنوال نفسه يعبّرُ الخالق العظيم والمقدس عن كلمته، ومعناها يتمُّ تسجيله في جوْهر المادة التي تحتفظُ به، بمعنى آخر الصورة المخلوقة تُطبعُ في المادة وتُسجلُ عليها، ويوضّحُ ابن جابيرول هذا المعنى قائلاً: " إن خلق كل شيئٍ من قبل الخالق أي انبعاث الصورة من المصدر الأول أو الإرادة، وتدفقُها عبر المادة، يشبهُ تدفق مياهٍ من نافورةٍ وهبوطها منها، مع اختلاف أن هذا التدفق يتواصلُ بلا انقطاعٍ، ويكونُ خارجًا تمامًا عن الحركة والوقت، وطبع الصورة في المادة عندما تصلُ إليها من خلال الإرادة هو كالصورة التي يراها من يتطلعُ في مرآةٍ ".[٢]

ويبتعدُ ابن جابيرول عما كان معتادًا في الكتابات اليهودية في العصور الوسطى من النقل من الكتاب المقدس، ويجعلُ عمله يتخذُ توجهًا صوفيًا كاملاً، وبالنظر إلى بعض عبارات الكتاب يمكنُ ملاحظة التأثير الصوفي الواضح: " الطالب: ما الدليل على أن سبب حركة المادة هو الرغبة والحب ؟ المعلم: لأنه من الواضح تمامًا أن الرغبة والحب ما هما إلا محاولةٌ للانضمام للحبيب والتوّحد معه، والمادة تبذلُ الجهد للانضمام إلى الصورة والاتحاد بها ".

وهنا نرى في التصوّف اليهودي الأصداء الأولى للفكرة والمثل الصوفي الأساسي وهو الاتحاد مع الله، ويصفُ ابن جابيرول الله بأنه الخالق الذي هو وحدةٌ بسيطةٌ مطلقةٌ، لدرجةٍ تتجاوزُ فهم العقل والإدراك البشريين [٣]، إنها وحدةٌ حقيقيةٌ لا تعرفُ أي ازدواجيةٍ أو تعدديةٍ

1 – Daniel H. Frank , Oliver Leaman – op. cit. – P. 125.
2 – Tom Block – op. cit..
3 – Daniel H. Frank , Oliver Leaman – op. cit. – P. 127.

مما يوجدُ في العالم [١]، ووصفه له في " ينبوع الحياة " يقومُ على الازدواجية ووأحيانًا أيضًا الثلاثية في المصطلحات، فوحدة الله تبدو من ناحيةٍ في جوْهرٍ تام الاختفاء، ومن ناحيةٍ أخرى في النشاط الظاهر للإرادة الإلهية، وثالثًا في حكمة الله وكلمته الإلهية، ومع الميْل أكثر للرؤية الثنائية عن الثلاثية لهذا الخالق البسيط للغاية فابن جابيرول أحيانًا يضعُ الإرادة الإلهية مع الحكمة الإلهية. [٢]

ـ الأثر الفلسفي اليوناني في " ينبوع الحياة ":

إن جويل وجوتمان يعتقدان بأن " ينبوع الحياة " ما هو إلا مجموعةٌ من نصوص الأفلاطونية المحدثة، إلا أن كوفمان يعترضُ مشيرًا إلى أن الكتاب يحتوي على بعض تعاليم لا يمكنُ العثور عليها في مذهب أفلوطين، وبعضها الآخر لا يمكنُ التوفيق بينه وبين الأفلاطونية الحديثة، فأفلوطين يتحدثُ عن مادةٍ مزدوجةٍ، أما ابن جابيرول فحديثه ينصبُ على مادةٍ واحدةٍ أو كلّيةٍ، ووفقًا لأفلوطين الموضوع برمته ليس بذي أهميةٍ كبيرةٍ، بينما هو حجر الزاوية لنظام ابن جابيرول. [٣]

وابن جابيرول يصفُ المادة البحتة بأنها تنبعُ مباشرةً من الجوْهر الإلهي نفسه، بعكس الصورة التي تنشأُ بشكلٍ ثانويٍ غيْر مباشرٍ عن الإرادة الإلهية، وبرغم أن هذا لا يعني أن الجوْهر الإلهي هو نفسه يتكوّنُ من المادة، كما استنتج بعض أتباع ابن جابيرول مثل ديفيد دينانت في تاريخ الفلسفة المسيحية والذين واجهوا مشكلة مع الكنيسة في تنظير الله كمادةٍ، فإن هناك رأيٌ لدى ابن جابيرول بأن هناك صلةٌ حميمةٌ بيْن الله والمادة، بالرغم من أن السياقات الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة والأرسطية تميلُ لربط الله بالصورة، ويعللُ ابن جابيرول هذا بأن كلاً من المادة والله خفي تمامًا وكلاهما الأساس بالنسبة لكل شيئٍ آخرٍ، بيْنما الصورة والإرادة أو الحكمة التي ترتبطُ بها أقل تأثيرًا ودوْرها الوساطة فيما بيْن الله والكوْن. [٤]

ومع أن الله بالتأكيد بالنسبة لابن جابيرول هو وحدةٌ مطلقةٌ، فإن نظريته يمكنُ أن تكون على النحو التالي: كما أن التحرك الأساسي الخفي لله يتجهُ إلى الفعل المتمثل في الحكمة أو الإرادة أو الكلمة، فأيضًا المواد النقية جدًا التي تسبقُ الوجود تتحركُ باتجاه أن تظهر، أي أن تصبح أكثر تشكلاً، ونصلُ من هذا إلى معنى مهمٍ هو أن صوْر الظلام والخفاء تتفوّقُ على صوْر الضوء والظهور لأنها تتصلُ بالله والكوْن، وكما يسبقُ جوْهر الله

---

1 – Isaac Husik – op. cit. – P. 68.
2 – Daniel H. Frank , Oliver Leaman – op. cit. – P. 127.
3 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..
٤ – شاهين مكاريوس – مرجع سابق – ص ١٧٢.

الخفي أفعاله ويكونُ أساسًا لها، فالمادة الخالصة أيضًا تسبقُ التشكيل وتكونُ أساسًا له وكذلك كل الموْجودات، ومن ثم فالله والمادة يشتركان في ظلامهما وخفائهما ذي المكانة العالية الرفيعة. [١]

وفي " ينبوع الحياة " نجدُ التنقل السريع والمفاجئ بيْن الصفات الإيجابية والسلبية لمفهوم المادة، ومن المؤكد أن المادة الخالصة الكلّية لها مجموعةٌ إيجابيةٌ من الصفات لدى ابن جابيرول بالمقارنة مع المادة المادية أو الدنيا، فمثلاً هذه الأخيرة تحملُ تسع فئاتٍ أرسطيةٍ، بيْنما الأولى لا تحملُ أي كميةٍ أو نوعيةٍ أو أي من الفئات التسع، وغالبًا ما تظهرُ المادة لدى ابن جابيرول بعكس السائد لدى غيْره أكثر سموًا وعلوًا حتى من الصورة النقية الخالصة، ومع ذلك هناك الكثير من الأجزاء في الكتاب يعلي فيها من مكانة الصورة كما هو الحال في الأفلاطونية، والأرسطية، والأفلاطونية المحدثة، على سبيل المثال يجعلُ من الصورة مصدرًا كونيًا للوحدة والضوء، وهى تكملُ المادة بارتباطها بها فتتكوّنُ الموْجودات، على الرغم من رأيه بأن المادة في حد ذاتها لديها نوْعٌ من الأسبقية على الوجود والاكتفاء بنفسها عن الاستكمال بالصورة، ومن ثم يمكنُ القوْل إن ابن جابيرول حاول إيجاد أهميةً متساويةً لكلٍ من المادة والصورة والتأكيد على الترابط الحميم بيْنهما الذي تنتجُ عنه كل الموْجودات، وتعرضه لهذا المعنى الأرسطي وإسهابه فيه وشرحه شرحًا وافيًا جعل كتاباته موْضع جدالٍ وخلافٍ عظيمين بيْن أهل الحقائق وأهل الفلسفة الاسمية[٢].

ويقولُ ابن جابيرول: " إن الله وحده هو الحقيقة الخالصة والجوْهر بالفعل، وليْست له صفاتٌ، ولكن فيه إرادة وعلم لا باعتبارهما صفتين له وإنما وجهان لفهمه، ومنشأ الخلق انطباع الصورة على المادة الكلّية التي وُجدت قبل الخلق، والجواهر المفارقة بمعنى الأفكار المجردة من الأشياء التي توجدُ فيها"[٣]، ويمكنُ مقارنة هذا بما ذكره أرسطو في كتابه " النفس ": " وحيْن يفكرُ العقل في الصوْر الرياضية يفكرُ فيها باعتبارها مفارقةٌ، ولو لم تكن كذلك "، ولا توجدُ مفارقةٌ في الحقيقة، فليْس التجريد إلا عمليةٌ عقليةٌ حتى إن المدرك الكلي يوجدُ كفكرةٍ لا حقيقةٍ، ولكن بيْن الكائن الروْحي الخالص الذي هو الله وبيْن المادي الفج الذي نلحظُه في الأجسام الموْجودة في العالم توجدُ صوْرٌ متوسطةٌ للوجود، كالملائكة والأرواح وهلم جرًا، حيْث لا تنطبعُ الصورة على المادة. [٤]

---

1 – Julius Guttmann – Philosophies of Judaism , the History of Jewish Philosophy from Biblical Times to Franz Rosenzweig – Introduction by R. J. Zwi Werblowsky – Anchor books – New York – USA – 1966 – P. 110.

٢ – شاهين مكاريوس – مرجع سابق – ص ١٧٤.

٣ – ديلاسي أوليري – الفكر العربي ومكانه في التاريخ – ترجمة تمّام حسين – مراجعة محمد مصطفى حلمي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الأسرة – القاهرة – ٢٠٠٧ م – ص ١٩٨.

٤ – ديلاسي أوليري – مرجع سابق – ص ١٩٩.

وعلى عكس أفلاطون يركّزُ ابن جابيرول مع الأفلاطونيين المحدثين على جواهري العقل والروح، مما يعني أن واقع جميع الصوْر هو في المواد الروْحية البسيطة للعقل والروح وليْس في الصوْر في حد ذاتها، أي أن المواد الروْحية البسيطة ليْست في المقام الأول الصوْر كما نجدُ لدى أفلاطون، في المقابل على عكس الأفلاطونية من ناحيةٍ أخرى، لا ينظرُ ابن جابيرول إلى العالم العلوي كعالمٍ من الصوْر ولكن من الصورة والمادة، وهذا يعني أيضًا اتفاقًا مع أرسطو على الرغم من تطبيقه غيْر الأرسطي على العالم العلوي، ويعني أيضًا أنه على عكس الرأي الأفلاطوني والأفلاطوني المحدث في المادة كشرٍ، يظهرُ لدى ابن جابيرول رأي مغاير عن المادة العليا، لأنه بالنسبة إليه كلٌ من الصورة والمادة في العالم الأعلى يحمل كل الصفات الإيجابية التي تحملها الصوْر في الرأي الأفلاطوني، ومن ثم فإن " ينبوع الحياة " يوضّحُ أن صاحبه إنما يعتقدُ بصحة القليل من المذاهب الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة، ولكنه غيْر موافقٌ عليها تمامًا، فقد خالفها في كثيرٍ من المباحث والمواضيع الجوْهرية. (١)

وبالإضافة إلى العديد من الاختلافات الأخرى عن أفلوطين، هناك نقطةٌ واحدةٌ أساسيةٌ من الاختلاف هى الإشارة هنا إلى مادةٍ كلّيةٍ، وتركيز ابن جابيرول على وجه التحديد على هذه المادة يقودُه إلى أن يتصوّر بشكلٍ فريدٍ اللحظة الأخيرة للعودة الأفلاطونية المحدثة باعتبارها لحظةً من الظلال المضيئة، فبما أنه لا يوجدُ سوى العنصر المادي فقط أعلى العقل بالنسبة له، فالعودة إلى العقل سوْف تسترشدُ بضوء الحكمة داخل ظلّ المادة الأولى الكلّية.(٢)

وهناك مصدرٌ آخرٌ هو كتابات إمباذوقليس، كما يشيرُ شيم توف بن فالاكويرا الفيلسوف اليهودي الإسباني في مقدمة إحدى طبعات " ينبوع الحياة " إلى اعتماد ابن جابيرول على كتاب " المواد الخمس " لإمباذوقليس، بل إن بعض الفقرات في "ينبوع الحياة" هى المصدر الوحيد الباقي لبعض كتابات إمباذوقليس المفقودة، إن صحت نسبتها إليه، ولكنها تؤكدُ في جميع الأحوال أنه كان لإمباذوقليس تأثيرًا حقيقيًا في الفلسفة الدينية اليهودية والكاباالاه في العصور الوسطى، ويذكرُ كوفمان ثلاثة مقتطفاتٍ من" المواد الخمس "، قد لا تظهرُ بشكلٍ كافٍ تأثر ابن جابيرول بكتابات إمباذوقليس وأخذه منها، إلا أنها تهدفُ لإثبات أن جميع الجواهر الروحية تتكوّنُ من مادةٍ روحيةٍ، وعلاوةٌ على ذلك فإن مكان المادة في نظام ابن جابيرول يشابهُ ما جاء عنه بكتاب " المواد الخمس "، وإشاراته للوسطاء الذين

---

١ – شاهين مكاريوس – مرجع سابق – ص ١٧٤.

2 – L. E. Goodman – op. cit. – P. 3777.

يربطون درجات الخلق المختلفة مماثلةٌ لما ذكره إمباذوقليس عن الهواء بيْن الرائي والمرئي، والذي يحملُ خصائص من كلٍ منهما. [١]

ـ أثر " ينبوع الحياة " في الفلسفات اللاحقة:

كان للكتاب تأثيرًا مباشرًا قليلاً نسبيًا في المفكرين اليهود اللاحقين عليه، على الرغم من أنه كان ملحوظًا بيْن بعض الأفلاطونيين المحدثين من اليهود وفي الدوائر الكابالانية، غيْر أن تأثيره في المفكرين المسيحيين كان كبيرًا [٢]، وأول من ذكر ابن جابيرول كفيلسوفٍ هو موسى بن عزرا، حيْث امتدح شخصيته وأفكاره، وفي أحد كتبه يقتبسُ عدة مقاطع من " ينبوع الحياة "، كما يأخذُ منه أيضًا إبراهيم بن عزرا سواءً في نثره أو في شعره ولكن من دون الإشارة إليه، وكذا يبدو تأثر يوسف ابن صدّيق واضحًا به في كتابه " العالم الصغير ".

وكان إبراهيم بن داود من طليطلة في القرن الثاني عشر أول من اتخذ موْقفًا معارضًا لابن جابيرول، حيْث أشار إليه إشارةً عابرةً في أحد كتبه كشاعرٍ، ولكن من أجل عرض تأثير ابن جابيرول الفيلسوف كتب كتابًا عربيًا تُرجم إلى العبرية وجه فيه اللوم لابن جابيرول لعدم قيام فلسفته على أسس الموقف الديني اليهودي، واتهمه بضعف حجج نظرياته الفلسفية وعدم كفايتها، كما أشار جوتمان إلى احتمال أن ابن داود قد انضم إلى قائمة معارضي ابن جابيرول، لأنه اكتشف في نظريته عن الإرادة وتعريفها بكلمة الله قربًا من لوجوس العقيدة المسيحية، أما شميدل فيعتقدُ، وهذا من الغريب بعض الشيئ، أن " ينبوع الحياة " قلّ تأثيره في اليهود لأن به إشاراتٌ إلى الاعتقاد في الثالوث، بيْنما لا يتفقُ إيسلر مع هذه الآراء مشيرًا إلى أن ما جاء في " ينبوع الحياة " يمكنُ أيضًا العثور عليه في كتبٍ أخرى دون أن يتسبب هذا في ابتعاد اليهود عنها، ومن ناحية أخرى فهذه الانتقادات بدلاً من أن تقلّلُ من مكانة ابن جابيرول بيْن اليهود جعلته على العكس أكثر انتشارًا. [٣]

ولكن بعد موسى بن ميمون قلّ تأثير ابن جابيرول بشكلٍ ملحوظٍ، على الرغم من بعض آثارٍ له في الأدب اللاهوتي في القرن الثالث عشر، بالإضافة إلى جمع فالاكويرا مقتطفاتٍ من " ينبوع الحياة " مع مجموعة من المفكرين السابقين على ابن ميمون مثل هارون ب. جوزيف، وإسحاق بن لطيف، وإبراهيم بن زداعي، وصموئيل بن زارزا، وموسى بن سليمان من ساليرنو، وتعتمدُ مراجع لاحقة على ابن جابيرول في التعرف على الفلسفة

1 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..
2 – L. E. Goodman – op. cit. – P. 3777.
3 – L. E. Goodman – op. cit. – P. 3781.

المدرسية، مثل تلك التي كتبها إيلي زابيلو، وإسحاق أباربانيل، ويهودا أباربانيل، وموسى ألموسنينو، وجوزيف سليمان دلميديجو. [١]

وأول علامةٌ مؤكدةٌ على التأثير المباشر الذي مارسه ابن جابيرول في الفلسفة المسيحية هو وجوده في أعمال دومينيكوس غونديساليموس، الذي لم يترجم فقط " ينبوع الحياة " إلى اللاتينية، وإنما أدرج أيضًا أفكار ابن جابيرول في مذهبه، بيْنما يشيرُ ويليام أوف أوفيرني إلى عمل ابن جابيرول تحت عنوان " حكمة الحياة "، وهو يتحدثُ عن ابن جابيرول كمسيحيٍ، ويثني عليه واصفًا إياه بأنه من كبار الفلاسفة، أما ألكسندر هاليس وتلميذه بونافينتورا فقد قبلا آراء ابن جابيرول عن أن المواد الروْحية تتكوّنُ من المادة والصورة، وكان وليام لامار هو أيضًا من المدافعين عن مذهب ابن جابيرول.

واستمرت أفكار " ينبوع الحياة "، وخاصةً فيما يتعلقُ بمادية الجواهر الروحية، في التأثير في الفلسفة المسيحية وصولاً الى جيوردانو برونو، ولكن كانت هناك نقاطٌ خلافيةٌ رئيسة بيْن ابن جابيرول والدومينيكان وعلى رأسهم ألبيرتو ماجنو، وتوما الإكويني، وهى ثلاثةٌ: ١ – كلّية المادة، حيْث ذهب الإكويني إلى أن المواد الروْحية غيْر ماديةٍ ٢ – تعدد الصوْر في الكيان المادي الذي نفاه الإكويني ٣ – قوة نشاط الكائنات المادية والذي أكّده ابن جابيرول، بيْنما أشار الإكويني إلى أن ابن جابيرول ارتكب خطأً عندما طبّق على الوجود الحقيقي مزيجٌ نظريٌ من الأجناس والأنواع، فتوّصل بالتالي إلى نتيجةٍ خاطئةٍ بأن كل شيئٍ في الواقع يتكوّنُ من المادة والصورة كأجناسٍ وأنواعٍ على التوالي. [٢]

بيْنما قُبلت هذه الأفكار بقوةٍ لدى أتباع مدرسة الفرنسيسكان، ومنهم بونافينتورا، ودونز سكوت [٣]، بعدما وصلت إليهم في أوائل القرن الثالث عشر، وكان تأثيرها سريعًا فيهم من خلال رسالته عن المحبة والسلام والتسامح والإخاء في سبيل الله، وأدخلوا هذه الأفكار في ممارستهم للمسيحية، فأصبحت رهبانيتهم ذات طابعٍ صوفيٍ، وبالإضافة لتعليقات أسقف باريس، أشار الباحث بيتر كول إلى أن معرفة الفلسفة الأوروبية في القرن الثالث عشر مستحيلةٌ دون فهم هذا الكتاب وتأثيره. [٤]

٢ – كتاب " إصلاح الأخلاق ":

" إصلاح الأخلاق " هو أطروحةٌ أخلاقيةٌ أسماها مونك " دليل العامة في الأخلاق "، كتبها ابن جابيرول في سرقسطة في عام ١٠٤٥ م، بناءً على طلب بعض الأصدقاء الذين

1 – Ibid – P. 3783.
2 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..
3 – Encyclopedia Britannica – op. cit..
4 – Tom Block – op. cit..

رغبوا في امتلاك كتابٍ يعالجُ خصائص الإنسان وأساليب تحسينها [١]، والعنوان الذي وضعه له هو " إصلاح الأخلاق على رأي أفاضل الحكماء "، ولقد كتبه باللغة العربية على طريقة العلماء اليهود بالرسم العبري، ثم ترجمه ابن تيبون بعنوان " اصلاح صفات النفس "، وكانت هذه الترجمة عام ١١٦٧ م أي بعد موْت ابن جابيرول بحوالي قرن من الزمان، ثم ترجمه إلى اللغة العربية الحديثة نوح برؤون ونُشرت هذه الترجمة في تل أبيب عام ١٩٦٤م[٢]، وتوجدُ للكتاب نسخةٌ وحيدةٌ من النص العربي الأصلي في مكتبة بودليان في أوكسفورد، وتمّ نشرها مع ترجمةٍ إنجليزيةٍ ل س. س. وايس (نيويورك، ١٩٠١م)، كما توجدُ للكتاب العديد من الطبعات منذ القرن السادس عشر وحتى التاسع عشر. [٣]

ويتكوّنُ من خمسة أجزاء في كلٍ منها أربعة فصول [٤]، وبالمقارنة مع سعديا الفيومي سلفه، وبحيا بن فاقودة، وموسى بن ميمون خلفيه، فإن ابن جابيرول اتخذ موقفًا جديدًا، من حيْث إنه وضع تنظيمًا لمبادئ الأخلاق بشكلٍ مستقلٍ عن المعتقد الديني أو العقيدة، وعلاوةٌ على ذلك فأطروحته سابقةٌ في التأكيد على الجانب النفسي للأخلاقيات، وأساس أطروحة ابن جابيرول هو الترابط والاعتماد المتبادل بيْن الجانبيْن المادي والروْحي فيما يتعلقُ بالسلوك الأخلاقي، ويمكنُ تلخيصها كما يلي:

إن صفات الروح تظهرُ من خلال الحواس، وتتكوّنُ هذه الحواس بدوْرها من العناصر الأربعة، وحتى مع أن هذه العناصر قد يتمُّ تعديلها واحدًا تلو الآخر، فإنه يمكنُ التحكم في الحواس وتوجيه صفات الروح إلى الخيْر أو الشر، ولهذا فإن ابن جابيرول يعزو الفضائل إلى الحواس، ويقصدُ بها الحواس الجسدية الخمس، وليْس الحواس الخفية مثل التصوّر والفهم التي تمثّل جزءًا من طبيعة الروح، ومن أجل تنقية روحه والسموّ بها يجبُ على الإنسان بالضرورة معرفة سماتها بدراسة نفسه كما هو، وأن يفحص عن كثبٍ شخصيته واتجاهاته، ويروّضُ نفسه على التخلي عن كل ما يقيّده بالزمان والمكان ويسعى إلى الروْحية والالتزام، وقدرة الإنسان على بذل هذا الجهد في حد ذاتها دليلٌ على الخيْر والبركة الإلهيين.

وبالرغم من أهمية التفكير العقلاني وأساسيته في إثبات أي نظريةٍ، يجدُ ابن جابيرول أنه من الضروري اللجوء إلى الحجج بعيدة المنال والخيالية في إثبات أفكاره، وهكذا يقولُ: " إن الإنسان ليشعرُ بالضآلة الشديدة عند مقارنة نفسه مع اتساع العالم وعظمته " [٥]،

---

1 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

٢ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٢٣٠.

3 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

4 – L. E. Goodman – op. cit. – P. 3776.

5 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

ويعرضُ لأكثر من عشرين سمةٍ أخلاقيةٍ يربطُ بيْنها وبيْن الحواس الخمس، فيرتبطُ الكبرياء عنده بحاسة البصر، لأن الإنسان المغرور يرفعُ حاجبيه بغطرسةٍ، كما يربطُ الحب بحاسة السمع لمجرد آيةً واحدةً جاء فيها: " اسمع يا إسرائيل، أنت تحبُ الرب إلهك "، أما الصفات التي ينسبُها لحاسة الشم فهى الإرادة الحسنة والغضب الشديد حيْث يتمُّ التعبير عنهما في التنفس، بيْنما صفات كالمرح والطمأنينة والهدوء يقرنُها بحاسة التذوّق لاحتوائها على الاشباع والاستمتاع أو عدمهما، وأخيرًا صفات الكرم والتسامح أو البخل يعزوها لحاسة اللمس لأن الإنسان الكريم يوصفُ دائمًا بمفتوح اليدين والعكس بالنسبة للبخيل فقبضتاه مضمومتان. (١)

ويجمعُ ابن جابيرول أهم الصفات الأخلاقية التي توصل لها ويربطُها بالعناصر الأساسية في الشكل التالي:

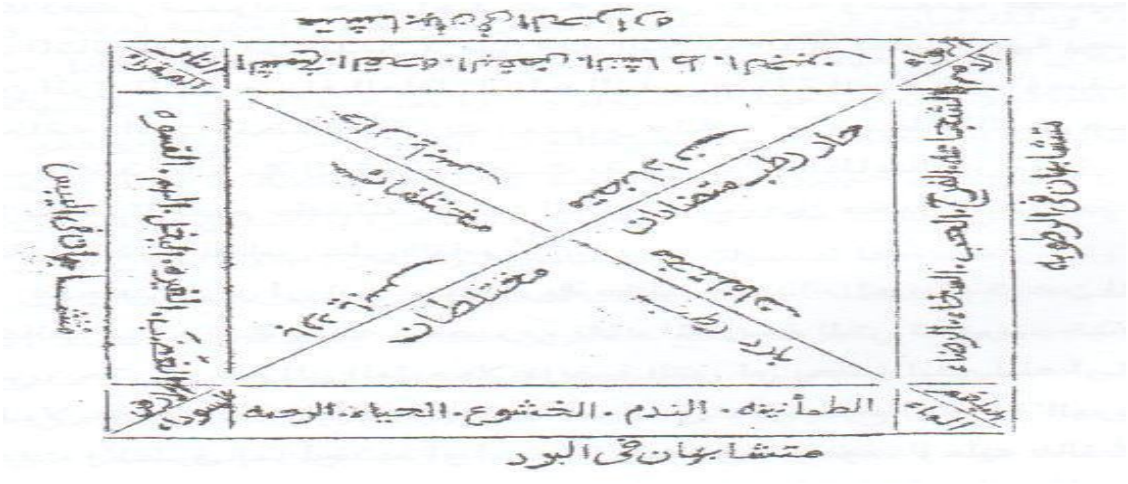

ويعلقُ على هذا الشكل بقوْله: " وبعد رسمنا لهذا الشكل على هذا البيان، نقولُ الآن إن جملة ما حصّلنا من أخلاق الإنسان عشرين خلقًا منها محمودةٌ بذاتها ومنها مذمومةٌ بذاتها، فينبغي لمن أراد أن يحصل على إصلاح أخلاقه أن يسير بنفسه على السيرة الجيّدة، حتى تصيرُ له الأخلاق المحمودة، واعلم أن جميع أخلاق الإنسان التي تظهرُ فيه في حال الشباب والنحول، فهى فيه في حالة الطفولة والصبا، وإن كان ليْس في قوته أن تظهرُ فيه، وإنما هى فيه بالقوة لا بالفعل، وكما ترى بعض الصبيان يظهرُ فيهم خلق الحياء، وبعضهم القحة وبعضهم يميلُ إلى اللذات، وبعضهم إلى الفضائل وبعضهم إلى الرذائل، فهذه وأشباهها هى في اخلاق النفس البهيمية، فإذا صاروا إلى حال الشباب أظهرت قوة النفس الناطقة فعلها، وأصرفت فاعلها إلى حسن الرأي في إصلاح الأخلاق ". (٢)

---

1 – L. E. Goodman – op. cit. – P. 3776.

٢ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ص ٢٣٤ / ٢٣٥.

وابن جابيرول هنا يشيرُ إلى أن الصفات الفاضلة والصفات الرذيلة تبقى كامنةٌ في النفس البهيمية منذ الصغر حتى تظهرُ إلى الفعل في الشباب، وفي هذا الوقت تقوي النفس الناطقة فتعمدُ لكبح جماح النفس البهيمية، في محاولةٍ لإصلاح أخلاقها الفاسدة، وهذا ما أشار إليه جالينوس في المختصر الذي حققه بول كراوس حيْث يقولُ: " فيُحتاجُ إذن أن تكون الناطقة محبةٌ للجميل، مشتاقةٌ للحق، عارفةٌ باتفاق الأشياء واختلافها، وأن تكون الغضبية سلسة الانقياد، وأن تكون الشهوانية ضعيفةٌ، وكل شيئٍ يتحركُ بحركاته ويفعلُ أفعاله التي هى له، فيقوى وإن سكن عن ذلك ضَعفَ، فمن اعتاد من صباه القصد والعفة، فشهواته معتدلةٌ، ومن لم يكن يمنعُ نفسه شهواتها من صباه ولا يقمعُها، فإنه يكونُ شرها، فالأدب يكسبُ الغضبية السلاسة والشهوانية الضعف ". (١)

لقد كان الهدف الرئيس لابن جابيرول هو توجيه قرّائه إلى تحسين الصفات الأخلاقية وإصلاحها، وكان يعتقدُ أن هذا يمكنُ أن يحدث من خلال الاستشهاد بأبسط وقائع الحياة المادية، فأجهزة الإدراك أو الحواس ليْست فقط أدواتً، ولكنها أيضًا رموز لمختلف مظاهر الحياة المادية، وبعد أن نسب إلى كل منها عددًا من الدوافع التي تُسمّى الفضائل أو الرذائل، يطوّرُ مفهومًا عامًا للحياة كما هى في هذا العالم والتي ينبغي أن تسترشد بالعقل وتُحكمُ به، فيجب أن يجعل الإنسان نفسه الحيوانية دائمًا خاضعةً لنفسه العقلانية، أي أن يتحكم عقله في غرائزه ودوافعه الطبيعية، والجهد الذي يبذلُه الإنسان للوصول لهذه السيطرة هو ما يتيحُ له السعادة، والعامل الرئيس فيه هو الذكاء أو العقل الذي هو الوسيط بيْن الجانبيْن الإلهي والحيواني في الإنسان، وأي إنسانٍ يجعلُ لعقله السيادة على ميوله ودوافعه الطبيعية قد يتمتعُ بالنعيم الذي يشيرُ إليه ابن جابيرول. (٢)

ـ الأثر الفلسفي اليوناني في " إصلاح الأخلاق ":

لقد ركّز ابن جابيرول في كتابه بشكلٍ خاصٍ على مذهب الوسط الأرسطي (٣)، هذا فضلاً عن أنه من ناحية الشكل وضع تقسيم الأخلاق في شكلٍ يذكرُنا بمربع أرسطو الشهير في المنطق، بالإضافة للأثر اليوناني في حديثه عن أنواع النفس، وضرورة سيْطرة النفس العاقلة أو الناطقة وتغلبها في الإنسان إذا ما أراد إصلاح أخلاقه.

---

١ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٢٣٨.

2 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

3 – Aaron W. Hughes – Jewish Philosophy A to Z – Edinburgh University press – UK – first published – 2005 – P. 87.

و هو يدعّمُ هذا ببعض آيات الكتاب المقدس، وبعض المقاطع التلمودية، وباقتباساتٍ من الفلاسفة اليونانيين والشعراء العرب، ويصف البشر بأنهم قمة الخلق، وبما أن الهدف النهائي من الوجود الإنساني هو الكمال، فيجب عليهم التعالي على أحاسيسهم وفصل أنفسهم من هذا الوجود الأساسي من أجل تحقيق السعادة للروح. [١]

ويمكنُ العثور على العديد من هذه الأفكار القياسية بسهولةٍ داخل الأفلاطونية المحدثة اليهودية الكلاسيكية، ومع ذلك وكما أشار شلنجر فإن ابن جابيرول يقدمُ فكرًا أصيلاً، وهى العلاقة بيْن الصفات الأخلاقية والحواس الخمس في الإنسان، ومن ثم يجب على الجسد والروح معًا أن يشتركا في سعي الشخص لتحقيق السعادة: " في أفعال الحواس، وكذا في الأفعال الأخلاقية يجب أن يبقى المرء في الوسط ويتجنبُ الإفراط أو التفريط ".

وهو يذكرُ أرسطو ويقولُ عنه: " وأرسطاطاليس يقولُ: " كما أن حسن الصورة ضياءٌ للجسم، فكذلك حسن الخلق نورٌ للنفس " "، كما يتحدثُ عن جالينوس قائلاً: " وجالينوس يقولُ في كتاب " أخلاق النفس " إن الغضب والحرد هما اسمان لعنصرٍ واحدٍ "، ويشيرُ لسقراط بقوْله: " سقراط المتأله يقولُ: " من الذين لا تنقصُهم النجابة من يطلبُ رتبةً يصغرُ قدره عنها، ومن أنزل نفسه منزلة العاقل، أنزله الناس منزلة الجاهل، ومن ساء خلقه، دامت بغضته، ونفر الناس منه " " [٢]، كما يقتبسُ ابن جابيرول من كلٍ من سعديا، وديوجين، وأردشير، وبوزورغ – مهر، والكوتي، وغيْرهم.

وشهرة كتاب " إصلاح الأخلاق " أقل بكثيرٍ من " ينبوع الحياة "، ومع ذلك فهناك إشاراتٌ إليه لدى كلٍ من حسادى بن شبروت، وبديرسي، وبراتشيا النكيداني وغيرهم، وبرغم عدم وجود البراهين المؤكدة على معرفة موسى بن ميمون بالكتاب، فمن المحتمل جدًا أنه كان على درايةٍ به، وأنه لتأثره به جعل الهدف من الأخلاق تحسين الصفات أي الطابع والشخصية، كما كان لابن جابيرول أيضًا من خلال كتابه تأثيرٌ كبيرٌ وملحوظٌ في بازيا كما تشهدُ على ذلك العديد من نقاط التشابه بيْنه وبين أحد كُتب الأخير، وقد أثبت ذلك برول.[٣]

٣ ــ كتاب " اللآلئ المختارة ":

كتبه ابن جابيرول في الوقت نفسه تقريبًا الذي كتب فيه " إصلاح الأخلاق " [٤]، وهو مجموعةٌ من الحكم والأمثال والمسائل البديهية والأخلاقية، واستشهد به العديد من الفلاسفة

---

1 – Daniel H. Frank , Oliver Leaman – op. cit. – P. 124.

٢ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٢٣٣.

3 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..

4 – Chabad.org – op. cit..

والمفسّرين والتلموديين والأخلاقيين، وهو مشابه جدًا لمجموعاتٍ عربيةٍ وعبريةٍ أخرى للأقوال الأخلاقية، والتي كانت ذات قيمةٍ كبيرةٍ عند العرب المحبين للأمثال واليهود [١]، وقد كتبه ابن جابيرول بالعربية كسابقيه وبالرسم العبري، وترجمه إلى العبرية يهودا بن تيبون [٢]، وتوجدُ العديد من النسخ المخطوطة والمطبوعة للكتاب والبعض منها مع الترجمة والتعليق [٣]، نُشر أولها في إيطاليا عام ١٤٨٤ م، ثم تُرجم للاتينية ونُشر في مدينة فرانكفورت عام ١٦٣٠ م، وطبعةٌ أخرى باليهودية الألمانية (اليديش) نُشرت عام ١٧٣٩ م، وأُعيد طبعها عام ١٧٦٧ م [٤]، ثم طُبع في ليونيفيل عام ١٨٠٤ م [٥]، وطُبعت نسخةً باللغة العبرية عام ١٨٣٥ م وتوجدُ في مكتبة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس، وتُرجم إلى الألمانية ونُشر بها عام ١٨٤٢ م [٦]، وفي هامبورج عام ١٨٤٤ م [٧]، ونُشر جزءًا من الكتاب في برلين عام ١٨٤٧ م على شكل نظم شعري بالألمانية، وطبعةٌ للترجمة العبرية في لندن عام ١٨٥١ م.

ومادة الكتاب ترجعُ في أغلبها إلى أصولٍ عربيةٍ، مع القليل مما يعودُ لأصولٍ يونانيةٍ أو رومانيةٍ أو شرقيةٍ [٨]، وبالإضافة إلى أنه يحوي العديد من المقتطفات من التوراة والتقاليد الحاخامية، على العكس تمامًا من " ينبوع الحياة " [٩]، وأما عن منهج الكتاب فقد جعله ابن جابيرول في أبوابٍ، كل بابٍ وضع فيه ما ينطوي تحته من الأمثال والحكم مما يندرجُ تحت موْضوعٍ بعيْنه، وبلغت هذه الأبواب أربعة وخمسين بابًا عرض فيها لمادة الكتاب بأساليبٍ متنوْعةٍ من مناحي التعبير، فمن أسلوب السؤال وإجابته لأسلوب الأمر والوصية أو الوصايا على لسان الحكيم لولده، لسرد الحكاية المتضمنة للعبرة، إلى غيْر ذلك من الأساليب المتنوّعة.[١٠]

و في أحد أبواب الكتاب بعنوان "القيادة" يستعملُ ابن جابيرول أسلوب سرد حكايةٍ تحملُ المعاني التي يريدُ عرضها، فيقولُ على لسان الحكيم: " كتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر: " اقرن الحكم بالشعب، واحلل عليهم من إحسانك لهم، فتصلُ إلى حبهم لأن

---

1 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..
2 – Chabad.org – op. cit..
3 – Jewish Encyclopedia.com – op. cit..
٤ – آنخل جنثالث بالنثيا – مرجع سابق – ص ٤٩٤.
٥ – ديلاسي أوليري – مرجع سابق – ص ١٩٨.
٦ – آنخل جنثالث بالنثيا – مرجع سابق – ص ٤٩٤.
٧ – ديلاسي أوليري – مرجع سابق – ص ١٩٨.
٨ – آنخل جنثالث بالنثيا – مرجع سابق – ص ٤٩٤.
9 – Jochanan Wijnhoven – op. cit. – P. 137.
١٠ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٢٦٢.

حكمك للشعب بإحسانك لهم خيْرٌ من أن تحكمُهم بقهرك لهم، إذ ما فائدة تملك الأجساد دون تملك القلوب، فالتملك الحق هو تملك القلوب، لأنك عندما تملكُ القلوب بفضلك، فسوْف تنشدُ الأجساد معها، واعلم أن الشعب عندما يستطيعُ القوْل يعملُ " "، والمعنى المراد هنا أن قيادة القائد لا تصلحُ إلا بإحسانه لمن هم أتباعه، لأنه بهذا يملكُ قلوبهم، وبالتالي يملكُ الأبدان، فتتحققُ له القيادة الصحيحة دون قهرٍ ولا اكراهٍ. (١)

خامسًا: مكانة ابن جابيرول عند العرب واليهود:

ابن جابيرول لم يكن فقط أول فيلسوف يهودي في إسبانيا لقد كان أول فيلسوف إسباني، إذ كان أول من كتب عن موْضوعاتٍ فلسفيةٍ في الأندلس (٢)، ومع ذلك نادرةٌ هى المصادر التي تعرضت لابن جابيرول وترجعُ إلى عصره أو بعده بقليلٍ، وخاصةً المصادر العربية، وإلى جانب قلة هذه المصادر فإن ذكرها له جاء مقتضبًا مختصرًا لا يكفي للدلالة على المكانة الحقيقية له، ومن بيْن من ذكروه من المصنفين العرب صاعد الأندلسي الذي يقولُ عنه: " وكان من أهل الاعتناء ببعض علوم الفلسفة سليمان بن يحيى المعروف بابن جابيرول من سكان سرقسطة، وكان مولعًا بصناعة المنطق لطيف الذهن حسن النظر أخفر"، ولقد كان صاعد من المعاصرين لابن جابيرول حيْث توفى بعده بحوالي اثنى عشر عامًا، ووصفه لصفاته وأخلاقه، وبأنه كان لطيف الذهن حسن النظر يدلُّ على أنهما التقيا، وبالإضافة لصاعد أشار لابن جابيرول قلةٌ لا تكادُ تُذكر من العلماء العرب.

أما عن اليهود من أبناء عصره الذين ذكروه، فلقد نال عندهم حظًا أوفر مما ناله لدى العرب، ومنهم موسى بن عزرا يذكرُه في العبارة التالية: " وأبو أيوب سليمان بن يحيى ابن جابيرول القرطبي نشا في ملقة، وتربى في سرقسطة، حسّن أخلاقه، وهذّب طبعه وهجر الأرضيات، ورشّح نفسه للعلويات بعد أن نقّاها من أدناس الشهوات، فقبلت ما حمّلها به من لطائف العلوم الفلسفية والتعاليم الرياضية "، وهذا الذكر من جانب ابن عزرا بالرغم من اقتضابه يؤدي لرسم صورةٍ تكادُ تكونُ دقيقةً جدًا في إبراز الشخصية الإنسانية والعلمية لابن جابيرول.(٣)

أما عند الباحثين فقد نال نتاج ابن جابيرول وشخصيته الكثير من من الدراسة والنقد، سواءً من حيْث ميزاته الشخصية أو تكوينه الثقافي أو نتاجه الأدبي، هذا نحميا آلوني يقولُ: " إن ابن جابيرول كان عالمًا بكافة العلوم اليهودية التقليدية إلى جانب اضطلاعه الكامل بالعلوم العربية من كافة جوانبها الأدبية والفكرية ".

---

١ – المرجع السابق – ص ٢٧٠.

2 – Isaac Husik – op. cit. – P. 60.

٣ – يونس مرشد عمرو – مرجع سابق – ص ٣١١.

ثم حاييم شيرمان يذكرُ ابن جابيرول بقوْله: " منذ بداية طريقه كان ابن جابيرول واثقًا من أنه موعود بعظائم الأمور وأكثرها رفعةً، والدليل على ذلك قصائده الأولى في الفخر بنفسه، والتي كتبها في السادسة عشرة والسابعة عشرة من عمره، حيْث يبالغُ فيها بالاعتداد بنفسه أيما اعتدادٍ ". (١)

٣ – المرجع السابق – ص ٣١٣.

تعقيب:

ابن جابيرول من أوائل الشعراء والفلاسفة اليهود وأهمهم، عاش في الأندلس حياةً قصيرةً مليئةً بالصعوبات والأزمات، وتأثر كغيْره من الفلاسفة اليهود بالمَناخ الثقافي و الحضاري الذي أتاحه الحكم الاسلامي هناك، وحركة الترجمة العربية النشطة للأعمال اليونانية المختلفة، فتعرف من خلالها على آراء معظم الفلاسفة اليونان ومذاهبهم، ومع الاعتماد الكامل على هذه الترجمات العربية عن الأعمال الأصلية، تداخلت أفكار الفلسفات المختلفة، ونُسب بعضها لغيْر أصحابها الحقيقيين.

وكان هذا هو السبب في اعتبار ابن جابيرول لفترةٍ طويلةٍ أفلاطونيًا محدثًا خالصًا، ولكن اكتشاف كتاباته التي ضاع معظمها، وإعادة ترجمتها وتحليلها أكّد أن فيها أثرٌ من معظم المذاهب اليونانية، وليْست الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة فقط.

وكان للمذهب الأرسطي نصيبٌ ليْس بالقليل من هذا الأثر، فظهرت آراؤه وأفكاره بل واسم صاحبه بشكلٍ مباشرٍ وصريحٍ في أهم ثلاثة أعمال لابن جابيرول: " ينبوع الحياة " و" إصلاح الأخلاق " و" اللآلئ المختارة "، مما يثبتُ وجود نزعةٍ أرسطيةٍ في فلسفة ابن جابيرول.

ولا يمكن إغفال الجانب الديني لديه، والذي يبدو بوضوحٍ بالغٍ في أعماله الشعرية، وخاصةً قصيدة " التاج الملكي " التي تُنشدُ حتى اليوْم في قداس يوم الغفران كيبور، إضافةً لقصائدٍ أخرى عديدةٍ في موْضوعاتٍ منوْعةٍ، ظهرت فيها مهاراته اللغوْية العالية وتمكنه التام من أدواته الشعرية.

واستطاع ابن جابيرول بأشعاره وفلسفته ترك أثرٍ بارزٍ ليْس في التاريخ اليهودي وحسب بل المسيحي والإسلامي أيضًا.

ومن أهم النتائج التي يمكنُ التوَصل إليها من هذا البحث ما يلي:

١- انتقلت الفلسفة اليونانية إلى الفكر الفلسفي الاسلامي من خلال الفتوحات الاسلامية لمختلف البلاد، والتي كان من بيْنها تلك التي كانت توجدُ بها أهم أعمال فلسفة اليونان ومؤلفاتها، وأخذها العرب المسلمون وترجموها ودرسوها، وتعرفوا من خلالها على أفكار مذاهب اليونان الفلسفية.

٢- من أهم أفكار فلسفة ابن جابيرول أن الكوْن وكل الأشياء المخلوقة تتكوّنُ من مادةٍ وصورةٍ، وأن الإنسان يتكوّنُ من جسدٍ وروحٍ، ويجب أن يحرص على التوازن بيْنهما باستخدام العقل.

٣- ظهر تأثر ابن جابيرول بأرسطو في كتابه " ينبوع الحياة " في رأيه في الترابط و التكامل الواضح بيْن المادة والصورة، وفي " إصلاح الأخلاق " في حديثه عن الوسط في الأخلاق، والالتزام به دون الاتجاه للافراط ولا التفريط، وفي " اللآلئ المختارة " في استعارته حديث أرسطو ونصائحه للإسكندر عما يجب أن يفعله كحاكمٍ، ولكن اختلف ابن جابيرول عن أرسطو في تناوله لبعض المفاهيم ومعانيها لديه، وفي اتجاهه للربط بيْن الله والمادة وليْس الصورة.

٤- ظهر تأثر ابن جابيرول بالفلسفة الفيْضية الأفلاطونية المحدثة واضحًا في آرائه عن خلق الله للعالم والوسائط بيْنهما وأنواع المادة والصورة وأشكالهما ودرجاتهما المختلفة.

مراجع البحث

أولاً: المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

١ – المصادر:

١- أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي – طبقات الأمم – نشره وذيّله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس لويس شيخو اليسوعي – نُشر بتتابع في السنة الرابعة عشرة من مجلة المشرق – المطبعة الكاثولوكية للآباء اليسوعيين – بيروت – لبنان – ١٩١٢ م.

٢ – المراجع:

٢ – إبراهيم موسى هنداوي – الأثر العربي في الفكر اليهودي – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٣ م.

٣ – سليم شعشوع – تاريخ الفلسفة والعلوم اليهودية في أرض الاسلام – مدخل دراسة و تذييل لويس صليبا – سلسلة اليهودية بأقلامٍ يهوديةٍ – العدد ٧ – دار ومكتبة بيبلون – جبيل – لبنان – ٢٠٠٧ م.

٤ – شاهين مكاريوس – تاريخ الإسرائيليين، اليهود قديمًا وحديثًا مع تراجم مشاهيرهم شرقًا وغربًا – خاتمة بقلم روفائيل بن شمعون – سلسلة اليهودية بأقلامٍ يهوديةٍ – العدد ١٠ – دار ومكتبة بيبليون – جبيل – لبنان – ٢٠٠٧ م.

٥ – عمّار أحمد خلف قطب – مسميات الرب في أدب سليمان بن جابيرول – بحث مقبول النشر ضمن فعاليات مؤتمر الدراسات العبرية واليهودية، رؤى معرفية جديدة – كلية الآداب – جامعة عين شمس – ٢٠١٦ م.

٦ – ماكس مارجوليز، ألكسندر ماركس – تاريخ الشعب اليهودي أو كيْف يروي اليهود تاريخهم – سلسلة اليهودية بأقلامٍ يهوديةٍ – العدد ٣ – دار ومكتبة بيبليون – بيبلوس – لبنان – ٢٠١٤ م.

٧ – محمد بحر عبد المجيد – اليهود في الأندلس – الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر – المكتبة الثقافية – القاهرة – ١٩٧٠ م.

٨ – يونس مرشد عمرو – ابن جابيرول اليهودي الأندلسي وأثر الفكر العربي في مؤلفاته – تقديم محمد حماد – دار أسامة للنشر والتوزيع – عمّان – الأردن – الطبعة الأولى – ٢٠١٤ م.

٣ – المراجع الأجنبية المترجمة للعربية:

٩ – آنخل جنثالث بالنثيا – تاريخ الفكر الأندلسي – نقله عن الإسبانية حسين مؤنس – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٥٥ م.

١٠ – جورج فيدا – الفكر اليهودي في العصر الوسيط – ترجمة وتعليق علي سامي النشار – منشأة المعارف – الإسكندرية – ١٩٧٢ م.

١١ – ديلاسي أوليري – الفكر العربي ومكانه في التاريخ – ترجمة تمّام حسين – مراجعة محمد مصطفى حلمي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الأسرة – القاهرة – ٢٠٠٧ م.

ثانيًا: المراجع والموسوعات والمواقع الإلكترونية الأجنبية:

١ – المراجع:

12 – Aaron W. Hughes – Jewish Philosophy A to Z – Edinburgh University press – UK – first published – 2005.

13 – Arthur Hyman – Eschatological Themes in Medieval Jewish Philosophy – under the auspices of the Wisconsin-Alpha Chapter of Phi Sigma Tau – Marquette University Press – 2002.

14 – Eliezer Schweid – The Classic Jewish Philosophers From Saadia through the Renaissance – Translated by Leonard Levin – Brill – Boston – USA – 2008.

15 – Grayzel S. – A History of Jews – New York – USA – 1968.

16 – I. Davidson – Solomon Ibn Gabiral (selected religious , poems) – New York – USA – 1974.

17 – Jochanan Wijnhoven – The Mysticism of Solomon Ibn Gabirol – The Journal of Religion – New York – USA – 1965.

18 – Julius Guttmann – Philosophies of Judaism , the History of Jewish Philosophy from Biblical Times to Franz Rosenzweig – introduction by R. J. Zwi Werblowsky – Anchor books – New York – USA – 1966.

19 – Isaac Husik – A History of Mediaeval Jewish Philosophy – The Macmillan Company – New York – USA – 1916.

20 – Isaac Myer – The philosophical Writings of Solomon Ben Yehudah Ibn Gebirol – published by the Author – 1888.

21 – L. E. Goodman – Routledge Encyclopedia of Philosophy – Ver. 1.0 – Routledge – London and New York – 1998.

22 – Marla Segol – Medieval Religious Cosmopolitanisms , Truth and Inclusivity in the Literature of Muslim Spain – New York – USA – 2013.

23 – Peter Adamson – Aristotelianism and the Soul in the Arabic Plotinus – Journal of the History of Ideas – New York – USA – 2001.

٢ ــ المؤْسوعات:

24 – L.E. Goodman – Routledge Encyclopedia of Philosophy – Ver. 1.0 – Routledge – London and New York – 1998.

25 – Daniel H. Frank , Oliver Leaman - Routledge History of World Philosophies – Vol. 2 – History of Jewish Philosophy – Routledge – London and New York – First published – 1997.

٣ ــ المواقع الإلكترونية:

26 – Chabad.org – Solomon Ibn Gabirol – http://www.chabad.org/library/article_cdo/aid/111875/jewish/Solomon-Ibn-Gabirol.htm.

27 – Encyclopedia Britannica – Ibn Gabirol – https://www.britannica.com/biography/Ibn-Gabirol

28 – Jewish Encyclopedia.com – Solomon ibn Gabirol –

http://jewishencyclopedia.com/articles/6448-gabirol-solomon-ibn

29 – Tom Block – Sophia , The Journal of Traditional Studies – summer 2004 – Solomon Ibn Gabirol – http://www.tomblock.com/shalom_solomon